
مسرحية
الرحيل
في أربعة فصول
كتبها
ك.ل.ابن آدم

إهداء

إلى الناشرين والمترجمين

نظرا لاقتناعي بأن المسرح تعبير عن عواطف النفس البشرية ولذا أكون مرتاح البال بأن أقدم مسرحياتي الست إلى الناشرين والمترجمين قصد نشرها أو ترجمتها مجانا بغير إذن من مؤلفها أو أي جهة فيحق لكل ناشر أو مترجم في العالم قاطبة بأن ينشرها بلغتها الأصلية (العربية) أو ترجمتها بدون حقوق أو إذنا من أي أحد وخلاصة القول: النشر والترجمة في متناول أي مهتم وأخيرا الشكر للجميع: ناشرا، مترجما قارئا والسلام: التوقيع: ك.ل. ابن آدم (م)

المسرحي في 28-05-2025


République Algérienne Démocratique et Populaire
Ministère de la Culture
Office National des Droits d'Auteur et des Droits Voisins

Nom : LAOUAR

Prénom : KAMEL EDDINE

Date d'établissement: 28/12/2011

www.onda.dz

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الثقافة
الديوان الوطني لحقوق المولف و الحقوق المجاورة

ONDA رقم: 1138 **بطاقة الإنتساب**

اللقب : لعور

الاسم : كمال الدين

الاسم المستعار: ابن ادم

ولد(ت) في : 1953/11/05 ب : سكيكدة

انتسب(ت) الى الديوان بتاريخ : 2011/09/26

بصفة : مؤلف

لا تخول هذه البطاقة صاحبها أية صفة مهنية

مسرحية
الرحيل
في أربعة فصول

كتبها

ك.ل. ابن آدم

أشخاص المسرحية

1. **عثمان :** ابن عم أحمد ، متقاعد
2. **رحمة :** خادم = 55 سنة
3. **أحمد :** أب زهير : 68 سنة
4. **زهير :** ابن أحمد : جراح
5. **أمين :** صهر زهير : أستاذ أدب
6. **فاطمة :** زوجة أحمد : 65 سنة
7. **سميرة :** زوجة زهير
8. **زينب :** ابنة أحمد

طبعة 1436/1437 – 2015

اسم الكتاب: مسرحية الرحيل في أربعة فصول

المؤلف: ك.ل. ابن آدم

حجم الكتاب: 16×24

عدد الصفحات: 120ص

تركيب وتنضيد: محمد مولاهم

توزيع: دار الكتب – الجزائر

الفصل الأول

المنظر

بهو أنيق له أربعة أبواب، الأول على يمين المسرح خارجي والثاني خلف المسرح يؤدي إلى المطبخ وبيت الغسيل والثالث يؤدي إلى الغرف بينما الرابع فهو على يسار المسرح يؤدي إلى الحديقة التي تحيط بالمنزل من ثلاث جهات بالبهو أريكة ومقاعد وزخرفة ومكتبة . أمام المسرح نافذة واسعة ينظر من خلالها إلى الحديقة .

المشهد الأول

بالبهو الخادم مع عثمان وهما واقفان فترة ثم ينطلق الحوار.

عثمان: لقد أصبت يا سيدة رحمة في قصد مجيئ وهو زيارة الحاج أحمد فهل هو الآن بغير شغل مهم ؟

رحمة: قلت لك: إنه هنا وهو الآن في الحديقة جالس وحده منفردا ولو لم تكن ابن عمه وصديقه لسألتك عن قصد مجيئك ولا أتوقعه للحاج أحمد.

عثمان: يا سيدة رحمة إذا كنت متأكدة من أن جلوسه وحده بغير شغل مهم كأن لم يكن للعبادة أحبذ منك أن تطلعيه على زيارتي له إذا كانت غير محرجة له.

رحمة: أؤكد لك بأنك لن تخرجه بزيارتك له لأنه لا يتعبد وهو منفرد وحده ولو بقراءة القرآن وإنما جالس شارد الذهن، وقد اتخذ هذا السلوك منذ شهر مضى فجلب إنشغال بال زوجته فاطمة وأهله بما فيهم كنته سميرة إلى عزلته عنهم، لأنها لم تكن من طبعه وإنني لم ألاحظها منذ بدأت الخدمة في بيت ابنه زهير لخمس سنين خلت.

عثمان: بعدما أكدت لي عدم إحراجي له بزيارتي أؤكد لك مواجهة بأنها تتعلق بأن استفسره عما لاحظتموه عليه

في ميله إلى العزلة وشرود الذهن، وهو يجالسني في الحديقة العمومية فاستغربت حاله حتى انشغل بالي به، مثلما انشغل بالكم به وفضلا عن هذا إني لم أره منذ أسبوع وقد كان يجالسني فيها وتكاد تكون يوميا.

رحمة: أتريد مني أن أبلغه زيارتك له؟ أم تفضل الاجتماع به في حديقة المنزل.

عثمان: أريد منك أن تناديه لي إذا كنت متأكدة من أن زيارتي له لا تحرجه وهو في عزلة.

رحمة: لا أظن أن زيارة ابن عم له تحرجه بالرغم من أنه في عزلة شارد الذهن وفضلا عن هذا، لقد جئت قصدا للتعرف على ما شغل بالك به مثل أهله وأتمنى ألا تجده منشغلا بمرض فيه كتمه عن السيدة فاطمة وابنه زهير وبناته.

عثمان: لا أعتقد بأنه منشغل بمرض فيه وإنما هناك أمر آخر لظروفه يشغله لم أتأكد منه، ولذا عزمت على أن أسأله عما يشغل باله فيخلصني من الظن والتخمين.

رحمة: لا أظن أنه يكشف لك عما يجول في خاطره.

عثمان: ربما يكشفه لي ولا يخفيه عني بعدما يجدني مهتما به.

رحمة: أتمنى لك التوفيق بعد فشل السيدة فاطمة عدة مرات في معرفة ما يشغله ولم تتعرف عليه، خلا إدعائه بأنه

صامت فقط فلم تقتنع بادعائه نظرا لظروفه الاستثنائية.

عثمان: قد يصارحني عن ظروفه بعدما يجدني مصرا على معرفتها بالرغم من أنه ادعى لزوجته عدم انشغال البال لكي لا يحرجها بما يفكر فيه.

رحمة: بغير فضول ما تظن يجول في خاطره يحرج زوجته ولا يكون مرضا يشعر به الآن فرضا.

عثمان: أستبعد شعوره بمرض لكن ما لا أستبعده هو تفكيره في الرحيل عن دار ابنه زهير.

رحمة: بالرغم من أنني من غير أهله أستبعد ظنك في تفكيره في الرحيل لأن كنته سميرة ظريفة معه ومع زوجته، ولم تظهر لهما السيء منها فيدفعه إلى التفكير في الرحيل إلى مسكن آخر.

عثمان: إني أشهد لها معك بفضائلها ولا أظنها قد أظهرت منها السيء ولو يكون انزعاجا من تهيئة قهوة، لكن نحن الشيوخ نشعر بأننا عالة على أبنائنا إذا كنا في بيوتهم أو هكذا يكون القيل والقال من الناس.

رحمة: إذا كنت تظن بأنك تكون عالة على أبنائك إذا أقمت في بيت أحدهم فهذا شأنك لا ينطبق على الحاج أحمد، بدليل تخليه عن كراء بيته وإقامته في بيت ابنه

زهير وهو مرتاح فيه بشهادتي.

عثمان: لعله لم يكن يدري بالظروف التي ستحدث بعدما تقاعد ثم أقام في بيت ابنه الجراح ولاسيما بعدما زرع أول كلية في بلادنا.

رحمة: إن ما فعله الأستاذ زهير يعد عملا جليلا لأنه الأول في بلادنا فأحدث به صدى عند أقاربه، فهبوا لتهنئته عليه وأنت واحد منهم فامتلأ بكم البيت كأنه في عرس.

عثمان: نعم لقد امتلأ البيت بالأقارب للتهنئة فاستخلصت منه أن بيوت أكابر الناس تحشد فيها جمعا غفيرا بغير دعوة تجعل الحاج أحمد يراجع نفسه في إقامته مع ابنه وأظن أنه يفكر في الرحيل عنه راحة لباله حالما يتفادى القيل والقال.

رحمة: لا أظنه أحرج من كثرة الزوار وهو يلاحظ كنته سميرة تستقبلهم بترحيب حسن كأنهم مدعون وفضلا عن هذا تعد الإقامة مع ابنه برا له، بعدما تقاعد عن تدريس القرآن في المسجد للصغار.

عثمان: لكن إقامته في بيت ابنه الجراح قد تكون غير مناسبة للحاج أحمد بعدما أصبحت الإقامة واجهة تثير القيل والقال.

رحمة: إذا ظننت أو سئلت وأخص بالذكر أحدا من الأقارب الفضوليين قد حشر أنفه فيما لا يعنيه، ثق بأن الحاج أحمد لا يشغل باله به لأنه يدري برضا سميرة عن إقامته معها، وكلي يقينا بأن تفكيره ليس في الرحيل ويسيء به إلى كنته فتعارضه فيه وتشهد أمها ليلى وأباها أمين لتبعد ارتيابهما في حسن أخلاقها.

عثمان: إنه مجرد ظن خطر على بالي لم أتأكد منه ولا أذكره للحاج أحمد لأول وهلة إلا إذا ظل مستترا سبب شرود ذهنه، فهنالك أجابهه به وأنا منتظر رد فعله تدل عليه ملامح وجهه.

رحمة: وإني متأكدة من أن ملامح وجهه تنكر ما خطر على بالك ثم يشرع في الثناء على كنته ولذا أفضل ألا تذكر ما خمنت فيه له، ولو لم يفصح لك عما يجول في خاطره وخلاصة القول أناديه لك فلعله يبوح لك بسره حالما يجدك مصرا على معرفته **تذهب رحمة من باب الحديقة ويظل عثمان في البهو فترة تعود مع الحاج أحمد ثم تختفي من باب المطبخ بينما الحاج أحمد يتقدم إلى وسط البهو.**

أحمد: السلام عليكم.

عثمان: وعليك السلام وبركاته لقد أطلعتني رحمة على وجودك

في الحديقة منفردا فطلبت منها أن تناديك بعدما تأكدت منها جيدا في أنك لم تكن في عبادة.

أحمد: لم أكن أتعبد وإنما جالس فقط تفضل إجلس يا حاج عثمان لنتبادل أطراف الحديث ريثما يحين وقت صلاة العصر، وأتمنى أن تعود زوجتي أو كنتي سميرة قبل موعد الصلاة لتهيئ لنا أحدهما القهوة.

عثمان: لا تشغل بالك بالقهوة وإنما اتخذ زيارتي لك زيارة ابن عم لابن عمه بغير دعوة وإنما تفقد لحالك، بعدما تغيبت عن ملاقاتي بك في الحديقة العمومية منذ أسبوع وأتمنى أن يكون غيابك خاليا من الاهتمام بأمر مهم.

أحمد: لا يوجد هاجس شائن إذا ظننته مرضا غيبني عن الاجتماع بك في الحديقة العمومية فدفعك إلى زيارتي.

عثمان: أقول لك صراحة إن غيابك عن الحديقة لأسبوع مَضى لم يكن بغير سبب هين بعدما أكدت لي في أنك كنت في صحة جيدة، إنما هناك أمر بالغ الأهمية يشغلك فانشغل بالي بك ثم عزمت على زيارتك لتطلعني عما يشغلك إذا كان لا يحرجك.

أحمد: نعم هناك ما يشغل بالي أخبرك عنه بعدما اهتممت به كثيرا غير أنك تعده أمرا مهما يخصني وحدي لأنه

يتعلق بمسألة دينية مازلت مترددا في اتخاذ قرار لها.

عثمان: أطلعني عليها إذا كانت لا تحرجك فربما تقتنع باقتراحي لك الإفتاء فيها إذا كانت عويصة عليك ولا مفر لك من إفتاء فقيه.

يجلس عثمان

أحمد: **يجلس** إني مازلت مترددا في اتخاذ القرار حتى أتأكد من رأي ابني زهير فيها لأنه طرف معي فيها بعدما زرع كلية في المستشفى لمريض دون اعتبار، فيما إذ يكون الزرع حلالا أم حراما قبل فتاوي الفقهاء التي ظهرت على صفحات الجرائد.

عثمان: لقد تحدثنا في هذه المسألة الدينية سابقا ولم أظن أنها هي التي شغلت بالك لأن بعض الفقهاء قد أباحوا الزرع بشرط هبة العضو.

أحمد: أعلم أن بعض الفقهاء قد حرموا هبة العضو مطلقا بحجة في أن جسم الإنسان مملوك ملكية رقبة لله، فلا يجوز له التصرف به هبة أو بيعا بينما فئة قد أباحت هبته فيحل زرعه لكن بعدما اقتنعت بفتوة إباحة الهبة تبادر إلى ذهني زرع بغير شرط الإباحة، ثم تتاح لابني زهير عملية بعضو مباع فهل يفعل وإذا فعل يكون فعله محرما ودراهمه غير شرعية وهذا ما انشغل بالي به.

عثمان: لا أظنه يفعل إذا كان العضو من البيع لأنه يدري بفتوة الإباحة ويكون قد قرأها على صفحات الجرائد مثلي ومثلك.

أحمد: إني متأكد بأنه يدري بشرط الإباحة لكن ما أخشاه منه هو أن يقدم على العملية وهو يدري بالبيع فيقترف محرما قصدا فيؤثم عنه.

عثمان: أو تظن أنه يفعل ما تخشاه منه ؟

أحمد: لست متأكدا من رأيه ولذا أصبحت في موقف حرج وإني متردد في أن أسأله عن موقفه فيها لأنني أخشى أن أجده لا يبالي بشرط الإباحة، وهذا ما شغل بالي كثيرا فأدى بي إلى الانعزال عن العائلة حتى سئلت عنه وها أنت واحد منهم.

عثمان: من رأيي يا حاج أحمد هو أن تسأل ابنك صراحة فيما إذ يمتنع أم لا عن عملية زرع يكون عضوها بيعا. أعتقد بأنه يجيبك عن موقفه فيها ولا يخفيه عليك لأنك أبوه.

أحمد: إني أخشى من أن أجده لا يبالي بمصدر العضو كيفما كان وفي حال ما إذ يكون بيعا فرضا يخالف الشرع عمدا فيكسب نقودا محرمة.

عثمان: من حسن حظه أن أول عملية له قد كانت بعضو هبة من أم لولدها فاستوفت بها الإباحة فكسب دراهم شرعية.

أحمد: أعلم هذا لكن فهل يظل ما يكسبه حلالا ؟ فيحق لي الأكل منه أم يطرأ عليه تغيير فأكون ملتزما بألا أفتح فاه له، عثمان إن ما يدور في دماغي منذ أيام يسبب لي الصداع وأنا على انفراد بنفسي.

عثمان: وأي شيء تراه نافعا لك؟ ليخرجك من شرود ذهنك الذي لاحظته عليك خلال اجتماعنا في الحديقة فانشغل بالي بك.

أحمد: إني أفكر في أن أعزم علي أن أسال ابني عن رأيه في عملية له آتية يكون عضوها بيعا. فإذا وجدته يمتنع عن زرعه أطمئن على أن كسبه حلال يقينا لا جناح علي من الأكل منه ، أما إذا عد البيع لا يهمه ولا يمتنع عن العملية أعظه فإذا اتعظ تكون الأمور قد انفرجت أما إذا أصر على رأيه وعد البيع هينا، يصبح رحيلي عن بيته إلى بيت آخر حتما مقضيا علي لكي لا آكل مما حرمه الله ومن حسن حظي لي معاش التقاعد أقتات منه.

عثمان: وأي شيء تتوقعه منه ؟ بعد أن تعزم على معرفة موقفه في عضو مباع إنك تتوقع مواقفه الدينية وفقا لعشرتك به.

أحمد: بناء على مناقشة حدثت بيني وبينه في قضية تنظيم

النسل أتوقع منه ألا يعبأ بالبيع مثلما لم يعبأ بتنظيم النسل ولو حدد بولد واحد، وليس تنظيمه بالتباعد بين الولادات حفاظا على صحة الأم وقد اتفق الفقهاء على تنظيمه وليس تحديده، غير أنني لا أجزم يقينا بأنه لا يعبأ بالبيع بعدما حرم من الفئة الثانية ناهيك عن فئة تحريم الهبة وهو يدري بتحريم البيع وتحرم هبته.

عثمان: فرضا أنه لا يعبأ ببيع الأعضاء فما يكون موقفك منه بعدئذ ؟

أحمد: أي موقف ؟ يكون لي إذا فصل الدين عن العلم غير قرار الرحيل عن هذه الدار مع زوجتي إلى دار أخرى إذا تيقنت منه مواجهة أنه يقترف المحرم عمدا يحرم ثمنه، ومن حسن حظي لي معاش التقاعد يغنيني عن المحرم واحتباطا لهذه الظروف المتوقعة عندي أتخذ قرارا منذ اليوم بألا أوزع معاشي على بناتي في الشهر القادم مثلما عودتهن عليه منذ سنتين بعدما استغنيت عنه في بيت ابني.

عثمان: إني أفضل يا حاج أحمد أن تتريث في اتخاذ قرار الرحيل ولو تتأكد من ابنك في أنه لا يمتنع عن زرع بغير شرط الإباحة.

أحمد: لكن عمله يكون محرما ودراهمه آثمة لا أفتح فاه لها.

عثمان: لكنه لم يفعل بعد ولذا أنصحك بالتريث لكي لا تجد معارضة من الجميع بناء على أنه لم يقم بما تحرمه أولا ، وثانيا قد يغير رأيه بعدئذ ويلتزم بالفتاوي.

أحمد: عثمان إني أدرى منك بابني فهو رجل علم لا ينطق عن الهوى فإذا تفوه بموقفه لا يعبأ بالإباحة يثبت عليه ولا يغيره بعدئذ.

عثمان: وفرضا يكون موقفه بغير شرط الإباحة لا تتسرع في اتخاذ قرار الرحيل وإنما تكتمه حتى يفعل.

أحمد: لا ضير من أكتم قرار الرحيل حتى يفعل لكن حالما يحدث المحرم منه فلن أتراجع عن قراري ولو أجد المعارضة من أهلي جميعا.

عثمان: ولن تجد معارضة مني في فعل وقد لا تتيح له عملية بعضو مباع لأنها نادرة وليس من السهل بيع الأعضاء.

أحمد: لكن من الأموات تحدث بسهولة وقد يبيع الورثة عضو ميتهم إذا كانوا إخوة وأستبعدها من الآباء لأنهم يلجأون إلى الهبة ويعدونها صدقة جارية له.

عثمان: مهما يكن موقفك في عملية بعضو مباع لم تتحقق تدفعك إلى التريث بل أعود على عقبي ولا أنصحك بأن تسأل ابنك فيما تخشاه منه، وإنما دع القضية

للمستقبل تفاديا لمعارضة الجميع لك.

أحمد: لو درس الأدب مثل صهره أمين لجنب الجميع انشغال بال البعض ببعض.

عثمان: وبالرغم من أنك تظل منشغل البال فإنه أهون عليك من انشغال الجميع بقرار رحيلك، ولذا يكون كتمانه أخف عليك ولعل ابنك يتقيد بالشرع.

أحمد: وإني أترجى معك كثيرا تقيده بالشرع فإذا تحقق لي رجائي تعود إلي راحة البال.

عثمان: إذا تريث ولا تقر شيئا على حدث مستقبلا وقد لا يحدث.

أحمد: أو تظن أنه لا يحدث منه ؟

عثمان: أغلب ظني هو تقيده بالشرع أو لا يصلي ابنك ؟.

أحمد: بلى ويؤديها بغير انقطاع لكن في مجال العلم يفصله عن الدين وبكل الأحوال مازلت غير متيقن من موقفه فهو إلى حد الآن ما هو إلا ظن مني لا غير.

عثمان: إذن دع الظن حتى تتيقن منه بالفعل وليس بالسؤال ثم تناس ما يشغلك تعد إلى حالتك الطبيعية.

أحمد: حسنا فلأفعل برأيك وأتناسى ما حيرني فلعل التناسي يمنحني راحة البال التي فقدتها لشهر مضى.

عثمان: بيتها في نفسك تنلها ولو تستعين على منالها بقراءة كتب الأدب مثل صهر أمين وكتب التاريخ كذلك.

أحمد: و القرآن كذلك ولا شيء يخفف عني عدم راحة البال غير المطالعة مع احتياطي بمعاش التقاعد القادم والذين يعقبونه ولن أوزع المعاشات بعد الآن على بناتي، وأظنك تستحسن لي هذا القرار ولا تعارضني فيه وثق بأنه يساهم في عودة راحة البال لأنني آمل منه النجاة.

عثمان: لا ضير من أن تذخر معاشك احتياطا لاستعماله فلا توزعه على بناتك لكن لا تطلعهن على قصدك منه لأنه يحيرهن أكثر من قطعه عليهن.

أحمد: من هذه الجهة أعدك بأن أكتم، قصدي منه على الجميع بما فيهم زهير وأكون في راحة البال لأنني غير مسؤول عن إعالتهن بعد زواجهن جميعا.

يدخل زهير مع أمين من الباب الخارجي

أمين: السلام عليكم.

عثمان: وعليكم السلام وبركاته، **يقوم – إلى أحمد** إن وقت صلاة العصر يقترب لها فلنتهيأ للخروج ولولاها لجالسنا أساتذة الطب والأدب.

أحمد: **يقوم** أهلا وسهلا يا أستاذ أمين كيف حالك ؟

أمين : على أحسن ما يرام.

أحمد: ولا شيء يتمناه الإنسان في هذه الدنيا الفانية غير راحة البال ولولا حلول وقت الصلاة لتبادلنا أطراف الحديث برهة من الزمن معكما.

أمين: كما تشاء بل الصلاة مع الجماعة أولى من حديث عابر معنا وقد تأتي مناسبة له.

أحمد: إنك لست غريبا عن العائلة أتركك مع زهير وأتمنى أن يطول بقاؤك معه حتى تعود ابنتك سميرة، لعلك قصدت زيارتها فهي غير موجودة في البيت وحماتها كذلك ولا يوجد غيرنا والخادم.

أمين: عد زيارتي عشوائية بغير قصد لرؤية سميرة فإذا عادت في مدة قصيرة أراها وإن لم تعد لا تهمني رؤيتها.

أحمد: حسنا هيا بنا يا عثمان **يخرجان من الباب الخارجي.**

زهير: تفضل أجلس يا أستاذ أمين فلعل ابنتك تعود إلى البيت بعد مدة قصيرة وأمي كذلك.

أمين: وهل تتوقع عودتها في مدة قصيرة ؟

زهير: لست أدري وبأي حال ننتظرها لتقنعها مواجهة في أن

سبب عزلة أبي عنا لم يكن ناتجا من حسن ترحيبها بالزوار عقب عملية زرع الكلية، إني طالما أكدت لها بأن حسن ترحيبها بهم واجب عليها ولو أظهرت المبالغة في الترحيب بهم.

أمين : إذا كان ترحيبها بهم معتدلا لا يدفع أباك إلى النفور منه ولا يكون سببا في عزلته عنكم، لكن إذا كان مبالغا فيه إلى درجة الزهو والاختيال فلن يوافق عليه ويقابله بعزلته عنكم زاهدا فيما يطريكم.

زهير: ثق بأنه قد كان في منتهى الاعتدال.

أمين: وما تظن في سبب عزلته عنكم؟ ما دمت مقتنعا باعتدال الترحيب بغير فخر.

زهير: أجلس وبعدئذ أناقشك فيه.

أمين: **يجلس** حسنا حدثني عما تظنه فيه.

زهير: **يجلس** أقول لك : يا أستاذ أمين إن سبب عزلة أبي عنا لم تكن بسبب حسن الترحيب بالزوار ولو ظننته مبالغا فيه علما بأنه قد كان معتدلا، لكن لها سبب يتعلق حسب ظني بفتاوي الفقهاء في زرع الأعضاء، ولعله يكون الآن مؤيدا فتوة تحريم هبة العضو فيحرم بها عمليتي تدل عليه عزلته عنا.

أمين: لكن هناك من أفتى بحلال هبة العضو فيحل زرعه ولا

شيء يؤكد لنا الآن بأن أباك لم يقتنع بفتوة الإباحة إذن تظل عزلته عنكم غامضة.

زهير: أجل لكنها تكون ناتجة مما لا يروق له ولذا رجحت عدم اقتناعه بفتوة الإباحة.

أمين: لكن قد تكون عزلته ناتجة عن خشية فشل عملية الزرع مستقبلا ناهيك إن يتوقع مكروها للأم الواهبة.

زهير: لا أظن حيرته ناتجة من مكروه لهما معا لأنه لم يسألني عن العملية وفضلا عن هذا فهي ناجحة، ولذا ظننت أنه في صراع بين تأييد فتوة إباحة الهبة أو تحريمها.

أمين: إنك تصر على أن ظروف أبيك ناتجة من قضية دينية وليس غيرها.

زهير: إني أكاد أجزم من خلال شرود ذهنه أنه في تفكير عميق في الفتوتين المختلفتين لا تنس وظيفته في تدريس القرآن في المسجد للصغار، قبل تقاعده عنه لسنين مضت وإني أجزم كذلك بأنه قد قرأ الفتاوي في الجرائد مثلي.

أمين: ما دمت مصرا على رأيك في سبب عزلته عنكم أؤيدك مبدئيا واحتفظ برأيي في خشيته من مكروه للعملية، لكن أرى ألا تترك الأمور من غير يقين لك فيه.

زهير: لقد أرادت أمي أن تتيقن من سبب عزلته فسألته عدة مرات عن سببها ولم يصارحها عن ظروفه وإنما ادعى لها بأنه صامت لا غير ليصرفها عن معضلته، لكونه يعلم أنها لا تفيده شيئا فيما يشغل باله أو لا يريد أن يشغل بالها مثله وبكل الأحوال فضل ستر معضلته لكنه لم يسلم من الاستفسار عن حاله من أمي وأخواتي.

أمين: إني أتساءل إلى متى يظل أبوك متسترا حاله ؟ إذا كان بسبب الفتاوى المتناقضة حسب ظنك وتظل صامتا لا تستفسره عنه منه بالذات.

زهير: أظل ساكتا لا يهمني أمره ولعل انتظاري ينتهي حالما تطرح قضية زرع الأعضاء على نطاق واسع في ندوة جامعة شاملة.

ثم تختتم بإباحته ولو ببيع الأعضاء فيقع الانفراج له بالإباحة المطلقة.

أمين: من خلال إطلاعي على فتاوي الفقهاء قديما وحديثا أجد الاختلاف بينهم لاسيما فيما لا يكون فيه نص يدل على الفتوة.

زهير: إذن تظل الفتاوي مختلفة في زرع الأعضاء لأنه لا نص يدل عليه لكونه جاء بعد انقطاع الوحي.

أمين: ويظل أبوك حيران ينتظر حتى ينفذ صبره فيصارحك عن موقفه من عمليتك.

زهير: وما تظنه قائلا لي ؟

أمين: إذا اقتنع بفتوة هبة العضو بعد صراع في نفسه يعد ما قمت به شرعيا فهنالك يعود إلى حالته الطبيعية، أما إذا أيد التحريم المطلق يعظك بألا تقوم بعملية زرع أخرى.

زهير: لن أتعظ بموعظته لأنها غير موعظة وإنما اقتحام في ابتكار العلم ولا يهتم بالافتاء، بل يعد كل ابتكار إذا كان خيريا مخففا من معاناة البشرية مباحا أستاذ أمين أقول لك صراحة ومواجهة لو اتفق الفقهاء جميعا على تحريم زرع الأعضاء فلن أتردد في زرعها ولا أبالي.

أمين: لا يهمك الإفتاء في زرع الأعضاء.

زهير: نعم لأنني لست في قضية دينية كأن تكون صلاة أو زكاة أو ميراث أو شيء من هذا القبيل وإنما القضية علمية محضة وخيرية كذلك، وإن الطبيب وحده هو الذي يفتي فيها بالإباحة إذا توقع منها خيرا مثل زرع الأعضاء ولو يكون العضو بيعا ، ويمتنع عن زرعه إذا كان العضو غير صالح للزرع لأنه يضر به مريضه.

أمين: إذا أفصحت عن موقفك في لا مبالاتك بإفتاء الفقهاء في العلم على الإطلاق تحدث قطيعة بينك وبين أبيك، ولو يكون مقتنعا بفتوة الإباحة بشروط.

زهير: أو تظن أن قطيعة قادمة بيني وبينه؟ بسبب الزرع ولا يعده عملا غير مسؤول عنه لا يؤثم عليه إلا فاعله.

أمين: بالنظر إلى عزلته وظنك في سببها أجزم بأن فراقا سيحدث بينكما إذا أطلعته على أنك لا تقيم وزنا للإفتاء في ابتكارات العلم، ولذا أنصحك بأن تكتم رأيك في قضايا العلم عنه تفاديا للقطيعة.

زهير: إني لم أهتم بظروفه بالرغم من ظني فيها وهو الإفتاء إلا بعد أن كثر الحديث عنه وظنت ابنتك أنه غاضب على حسن ترحيبها بالزوار، وألحت على هذا الرأي معي كثيرا حتى شغلتني به ولذا أدرت منك أن تصرفها عن رأيها. أما بالنسبة لي فالأمور هادئة ولن تحرك في ساكنا ولو يعتزلنا اعتزال النساك في الجبال.

أمين : إني أنصحك دوما بأن تلتزم بالصمت عن مواقفك في الإفتاء عن الجميع وهذا أهون عليكم بعزلته عنكم في بيتك ولا تتطور إلى رحيله إلى دار أخرى مع أمك، وهذا لا يعجبها بل بغضبها عليك وتعدك السبب في غضبها حالما تذعن لقرار رحيله.

زهير: بل ترفض له قرار رحيله قدر جهدها ولعلها تفلح في رجوعه عنه لاسيما إذا استعانت ببناتها واحتجت بكبر سنه وسنها أمامهن ، فتضعه في ورطة لا حل لها إلا العدول عن قراره.

أمين: إن أغلب ظني في أنه لا يعدل عن قراره ولو تمتنع أمك عن مرافقته بجد حتى ييأس من تلبية غرضه منها، فهناك يخيرها بين طاعته أو إعادة الزواج.

زهير: لن يؤثر فيها تهديده لها بالضرة لأنها تخلصت من خشيتها بعدما أصبحت عجوزا فتصر على الرفض، فإذا لم يعبأ برفضها ويصر على قراره ولو يكون وحيدا، تذكره بأنه شيخ هرم يتوقع من كبر سنه مرضا من أمراض الشيخوخة فتشعره بضعفه يعد قراره مجازفة خرقاء فيعدل عنه ويبرر بقاءه بحجة الضرورات تبيح المحظورات.

أمين: لكنه الآن في صحة جيدة وله معاش التقاعد تنتفي منهما حجة الضرورات تبيح المحظورات ولذا يصر على قراره بدافع الشرع.

زهير: لكن ما العمل معه؟ ما دمت متوقعا تطور الأحداث إلى رحيله وحده وإعادة زواجه إني بحاجة إلى رأي منك من أجل أمي لا غيرها أما بالنسبة إلى الإفتاء في

العلم، ورفضه لي زرع الأعضاء بفتوة تحريم بيع الأعضاء فهو هين في نظري بل لا شيء على الإطلاق ما دام علميا خيريا.

أمين: من رأيي أولا هو التأكد من سبب عزلته عنكم في البيت.

زهير: لقد قلبت الأمور في سببها ولم أرجح شيئا في سببها إلا تفكيره في الفتوتين المتناقضتين يدل عليه كثرة سكوته.

أمين: لكنك غير متيقن.

زهير: أقول لك: لولا اهتمام العائلة كلها به لما اهتممت به ما دام حاله ناتجا من شيء هين في نظري.

أمين: وبدافع اهتمام العائلة كلها بحاله قد حان لك معرفة حقيقته يقينا ولو من ابن عمه عثمان.

زهير: وإذا تيقنت من حاله ولو منه بالذات فهل أخبر العائلة عن سبب ظروفه؟

أمين: يقوم إذا تيقنت من أمره أبعد المناقشة معه عن أذان العائلة كلها لأن الموضوع يتعلق بالعلم والدين.

زهير: يقوم إن رأيك مطابق لرأيي في أنني كتمت ظني في سبب عزلته عن العائلة تفاديا من أن تصبح فتاوي

الدين حديث النسوة وقد يثرن قضية الاختلاف بين الفقهاء ولذا تركت شان أبي إلى اليوم الذي يصارحني فيه عن موقفه.

أمين: وقد لا يصارحك عنه وإنما يقرر الرحيل في الأيام القادمة وهذا أهون عليه إذا توقع أنك لا تتعظ بموعظته ولا تبالي بما يحرمه الشرع.

زهير: إنك ما برحت تتوقع رحيله وسيثير مجادلة في البيت بينه وبين أمي لا أحبذها ونظرا لتوقعها ألجأ إلى الحياد معهما، لكي لا أكون طرفا فيها فلا تشغلني عن عملي، وهذا هو موقف رجل العلم.

أمين: حسنا أتمنى أن تمر الأحداث هادئة وإنه لا أنتظر سميرة أكثر مما انتظرتها إني ذاهب.

زهير: أرافقك إلى الخارج ولعلنا نصادفها عائدة فتقنعها في أن ظنها من ظروف أبي لا أساس له من الصحة، وإن لم نصادفها أخبرها عن رأيك المطابق لرأيي.

أمين: هكذا تؤكد لها رأيي وإن لم تقتنع به دعها وشأنها. **يخرجان من الباب الخارجي تخفت الأضواء دليلا على مرور وقت ثم تضاء عندما تقدم فاطمة من الباب الخارجي.**

فاطمة: **تنادي** سميرة... سميرة.... **فترة وتقصد أمام المسرح**

فتنظر من خلال نافذة ثم تود قاصدة باب المطبخ فتظهر رحمة فيه ثم تتقدم نحو فاطمة في البهو.

رحمة: مازالت لم تعد من بيت أبيها وقد كان هنا لفترة مضت مع ابنك زهير وقبلهما جاء الحاج عثمان ليتفقد زوجك.

فاطمة: زائران قد حلا ببيتنا في غيابي وغياب سميرة لو كنت أدري بزيارة أحدهما أو كليهما لما زرت ابنتي زينب.

رحمة: حصل خير منهما إلا أن زيارة الحاج عثمان قد قصد بها الإطلاع عما يجول في خاطر زوجك، هكذا أكد لي بعدما لاحظ عليه شرود ذهنه وهو يجالسه في الحديقة العمومية بل تغيب عن ملاقاته فيها، لمدة أسبوع فدفعه إلى التعرف على سببه وهو منشغل البال به مثلنا وربما أكثر.

فاطمة: أهو كذلك؟ شغله ظرفه الاستثنائي.

رحمة: نعم لكنه قرر الاستفسار منه في حاله.

فاطمة: لقد سألته عدة مرات عن سلوكه الاستثنائي فادعى لي بأنه غير منشغل البال ولم يطمئن نفسي في خلو باله من الحيرة بناء على شرود ذهنه.

رحمة: إننا كلنا نتفق على انشغال باله لكننا نختلف في ظنوننا عن سببه ولا أستبعد أن يكون من مرض يشعر به الآن.

فاطمة: إني استبعد المرض فيه وما لا استبعده هو نفوره من كثرة الزوار واختلاط نساء سافرات بالرجال عقب عملية زرع الكلية في المستشفى.

رحمة: إن ظنك قريب من ظن الحاج عثمان ولا يعده نفورا من النساء المتبرجات وإنما يتخذه إحراجا له من الإقامة مع ابنه، وما يثيره من القيل والقال فضولا ولا يستبعد تفكيره في الرحيل إلى دار أخرى، غير أنني نصحته بألا يذكره له وأترجى منك ألا تذكريه لابنك وكنتك إني أطلعتك على رأيه بغير تحفظ.

فاطمة: ثقي بأنني لا أطلعهما عليه لأنني أستبعد تفكيره في الرحيل بسبب القيل والقال ولن يؤثر فيه فضول الفضوليين، لكن ما لم يعجبه من الزوار هو الاختلاط وبأي حال مازال الحاج شارد الذهن رغم انتهاء الزيارات.

رحمة: وبما تؤولين؟ بقاءه منعزلا بعد نهاية الاختلاط كأننا في عرس.

فاطمة: ربما يكون تفكيره في عملية زرع ثانية وحدوث اختلاط لكنه يكون أقل من الأول بكثير، بل يقتصر على المحارم وأهل المزروع له من أجل التهنئة سأوضح هذا الاستنتاج للحاج ليعود إلى حالته الطبيعية.

رحمة: وإن لم يعد مثلما كان خلال أيام قليلة احتملي مثلي شعوره بمرض يكتمه ما دام يطيقه.

فاطمة: إني أخالفك الرأي باستمرار ولو يكون احتمالك في شعوره بصداع الرأس الهين على سبيل المثال وليس الحصر.

رحمة: إن كبار السن لا يشغلهم أي شيء قدر انشغالهم بصحتهم وإن مجرد شعورهم بوخز في جسدهم يؤدي بهم إلى ظنون سيئة فيصبح الوسواس قائد موقفهم متجسدا في شرود الذهن.

فاطمة: سآخذ احتمالك بعين الاعتبار ولا أهمله ما دمت تلحين عليه غير أنني لا أذكره للحاج وإنما أذكره لزهير لا غيره.

تدخل سميرة من الباب الخارجي.

رحمة: ها هي سميرة وقد تشاطرني الرأي في أن الحاج أحمد يشعر بمرض يكتمه وهو شغله الشاغل.

سميرة: ليست الأمراض من الأسرار التي يجب على الإنسان كتمانها ولو تكون من أمراض الشيخوخة المزمنة فما بالكما إذا كان المرض خفيفا عابرا.

رحمة: وفي أي سبب؟ تحتملين ظروف حمك.

سميرة: لست متأكدة يقينا لكن الظنون تذهب بي إلى نفوره من كثرة الزوار وحسن ترحيبي بهم، ولا أنكر رأي الخالة في أنه ناتج من النساء السافرات والاختلاط.

فاطمة: وهذا هو الصواب حسب ظني لأن المتدين يتسم بحث النساء القريبات على ارتداء الحجاب ويلزمه على أهله.

سميرة: إني لا أخالفك الرأي لكن لا طاقة له من تفادي الاجتماع بالسافرات القريبات.

فاطمة: نعم غير أنه يستاء منهن ثم ينفر قدر جهده وهذا ما حدث للحاج بعدئذ وهو يتوقع تكرار الاختلاط.

رحمة: قد يكون رأيك صوابا يا سيدة فاطمة لكن لا تسفهي رأيي في شعوره بمرض نظرا لكبر سنه.

فاطمة: حسنا سيكون محل احتمال عندي بعد بطلان رأيي.

سميرة: من رأيي يا خالة هو إهمال احتمال المرض فيه لأنه ليس عيبا يخفى عن الغير وأحبذ أن تكف الخالة رحمة عن احتمال المرض فيه.

رحمة: حسنا فلأ كف عن ذكر احتمالي ولن أتفوه عنه بعد الآن وما اهتم به هو شغلي لا غيره لكي لا تعدوني قد أقحمت نفسي في شؤونكم العائلية.

رحمة: وإن لم يعد مثلما كان خلال أيام قليلة احتملي مثلي شعوره بمرض يكتمه ما دام يطيقه.

فاطمة: إني أخالفك الرأي باستمرار ولو يكون احتمالك في شعوره بصداع الرأس الهين على سبيل المثال وليس الحصر.

رحمة: إن كبار السن لا يشغلهم أي شيء قدر انشغالهم بصحتهم وإن مجرد شعورهم بوخز في جسدهم يؤدي بهم إلى ظنون سيئة فيصبح الوسواس قائد موقفهم متجسدا في شرود الذهن.

فاطمة: سآخذ احتمالك بعين الاعتبار ولا أهمله ما دمت تلحين عليه غير أنني لا أذكره للحاج وإنما أذكره لزهير لا غيره.

تدخل سميرة من الباب الخارجي.

رحمة: ها هي سميرة وقد تشاطرني الرأي في أن الحاج أحمد يشعر بمرض يكتمه وهو شغله الشاغل.

سميرة: ليست الأمراض من الأسرار التي يجب على الإنسان كتمانها ولو تكون من أمراض الشيخوخة المزمنة فما بالكما إذا كان المرض خفيفا عابرا.

رحمة: وفي أي سبب؟ تحتملين ظروف حمك.

سميرة: لست متأكدة يقينا لكن الظنون تذهب بي إلى نفوره من كثرة الزوار وحسن ترحيبي بهم، ولا أنكر رأي الخالة في أنه ناتج من النساء السافرات والاختلاط.

فاطمة: وهذا هو الصواب حسب ظني لأن المتدين يتسم بحث النساء القريبات على ارتداء الحجاب ويلزمه على أهله.

سميرة: إني لا أخالفك الرأي لكن لا طاقة له من تفادي الاجتماع بالسافرات القريبات.

فاطمة: نعم غير أنه يستاء منهن ثم ينفر قدر جهده وهذا ما حدث للحاج بعدئذ وهو يتوقع تكرار الاختلاط.

رحمة: قد يكون رأيك صوابا يا سيدة فاطمة لكن لا تسفهي رأيي في شعوره بمرض نظرا لكبر سنه.

فاطمة: حسنا سيكون محل احتمال عندي بعد بطلان رأيي.

سميرة: من رأيي يا خالة هو إهمال احتمال المرض فيه لأنه ليس عيبا يخفى عن الغير وأحبذ أن تكف الخالة رحمة عن احتمال المرض فيه.

رحمة: حسنا فلأ كف عن ذكر احتمالي ولن أتفوه عنه بعد الآن وما اهتم به هو شغلي لا غيره لكي لا تعدوني قد أقحمت نفسي في شؤونكم العائلية.

سميرة: بأي حال هو رأيك الشخصي وهو بعيد عن الصواب لأن المرض يظهر للعيان.

رحمة: فليكن عند حسن ظنك وهذا ما أتمناه وأنا في أداء شغلي حالا. **تذهب من باب المطبخ.**

فاطمة: سميرة إني قررت أن أواجه الحاج اليوم في ظروفه بعدما تمدد صداها إلى الأقارب موضحة له ما ظننته في سبب عزلته، فإذا أكده لي أطمئنه بأنه لا يحدث ما يتوقعه بعدئذ لأن الزرع يصبح مألوفا عند الأقارب فلا زيارة بسببه وإنما تكون من أهل المزروع له لا غير من أجل الشكر.

سميرة: هذا شيء مؤكد لنا يزوروننا شاكرين.

فاطمة: لا حرج من زيارتهم ولو أنهم من غير الأقارب لكن ما أحرص عليه هو أن أوجه إرشاداتي لبناتي الثلاثة منذ غد في ألا تجتمع إحداهن أو كلهن بأبيها في البهو، عقب عملية زرع ثانية من زهير وإنما يكون الاجتماع به في غرفة تفاديا من زيارات لنساء سافرات تحرج الحاج أما استقبالنا لهن مع أزواجهن فهو واجب علينا.

سميرة: وهذا ما رأيته واجبا علي فاستقبلتهم بحفاوة.

فاطمة: لقد فعلت واجبك ولا لوم عليك بالرغم من الاختلاط الذي حدث كأننا في عرس.

سميرة: ما حدث قد حدث ولن يتكرر مني بالصفة التي حدثت لأنني أكون صامتة قدر استطاعتي وأشغل نفسي بالعمل وأدع لك الترحيب بالزائرين وأنت أولى بهم مني لأنك أم الطبيب الجراح **يدخل الحاج أحمد.**

أحمد: السلام عليكم.

سميرة: وعليك السلام أتمنى أن يكون عم الحاج على أحسن ما يرام ولا شيء يعكر حاله.

أحمد: لا شيء بعد الآن مني يهتم به وإنما راحة البال.

سميرة: إذن أنصرف إلى شغلي مطمئنة البال منك.

تنصرف من باب المطبخ

فاطمة: اجلس يا حاج لي بعض الأمور أريد التنقيب عنها معك في سبب ظروفك الاستثنائية وثق بأنك لم تقنعني بادعائك في خلو نفسك من التفكير في أمر مهم.

أحمد: قلت لك عدة مرات إني على أحسن ما يرام ومنذ اليوم قررت ألا تروني منشغل البال لكي لا أتلقى منكم أسئلة.

فاطمة: هذا خبر حسن منك في أن تعود إلى حالتك الطبيعية لكن أود منك لو تطلعني على سبب ميلك إلى الانفراد والتفكير شارد الذهن ليهدأ بالي بمعرفة الحقيقة.

أحمد: من حق أي إنسان أن يخلو بنفسه من حين لآخر

ليسترجع الماضي من حياته فلعله يستخلص منه تجربة أو حكمة تنفعه في بقية حياته القادمة ففعلت.

فاطمة: إني لا أخالفك الرأي لكن أود منك لو تطلعني عما استخلصته من ماضي حياتك السابقة وهل وجدت؟ نتيجة تنفعك مستقبلا.

أحمد: اطمئني على أنني ما قررت صرف البال عن التفكير شارد الذهن حسبما لاحظتموه علي ولا أنكره لكم إلا بعدما رسوت على نتيجة لابد منها.

فاطمة: حسن جدا لكن أيكون في استطاعتك ؟ أن تخبرني عن النتيجة التي توصلت إليها ورأيت فعلها حتميا عليك فلعلها تريح بالي عليك.

أحمد: أخبرك عنها حالا إذا شئت غير أنني أود منك ألا تعتبري موقفي أخرق.

فاطمة: هات رأيك فورا وبأي حال سيكون لي فيه رأي وقد أوافقك عليه.

أحمد: وقد لا توافقينني عليه إذا قلت لك إن النتيجة التي توصلت إليها من استرجاع حياتي الماضية تقتضي علي بألا أوزع كل دراهمي من معاش التقاعد. على بناتي منذ الشهر القادم والشهور التي تعقبه مثلما عودتهن عليه سابقا احتياطا لأن أضطر إليها وقت

الشدة استغناء عن كفالة زهير لنا وهذا أصبح محتملا جدا عندي الآن.

فاطمة: لم أتوقع أن تكون نتيجة انعزالك بهذه الصفة غير المحبذة عندي وقد يخالفك الرأي زهير، وتستاء منك بناتك بعدما عودتهن لسنين مضت على توزيع معظم معاشك بينهن.

أحمد: لقد اصبح حتما مقضيا علي أن أحتفظ بكل نقودي من التقاعد ولا أهتم بعدم رضاك عن موقفي أو مخالفة زهير لي أو استياء بناتي منه ولو يكون إلى درجة الغضب علي، لكوني غير مسؤول عن كفالتهن بعد زواجهن جميعا إذن من حقي الاحتفاظ بمعاش التقاعد للأكل به إذا اضطررت إليه.

فاطمة: ألا يكون في استطاعتك؟ أن تطلعني على سبب هذا الموقف المفاجئ منك لنا جميعا.

أحمد: لقد قلت لك أحتمل استعماله للإعالة لي ولك في حال ما إذا استغنينا عن كفالة زهير لنا.

فاطمة: لكن لماذا لم تحتمل الإعالة منه منذ خمس سنين مضت وعودت بناتك على اقتسام جله بينهن، وأظن أن موقفك هذا يحدث تأويلات سيئة نحن الآن في غنى عنها.

أحمد: مهما تكن التأويلات سيئة فلا ترجعني عن قراري اضطرارا للاحتياط بمالي من المستقبل وقلت لك: لست مسؤولا عن كفالتهن بعد زواجهن وإنما كان الفعل مني هبة لهن ومن حقي أن أكف عنها متى شئت وقد حانت المشيئة.

فاطمة: لا أناقشك في موقفك هذا وإنما أترك المناقشة لزهير ولعله يقنعك بالعدول عن قرارك حالما يؤكد لك بأن راتبه من عمله يكفي لإعالة عائلته وأبويه ويبقى منه للإذخار.

أحمد: أعلم أن راتبه كثير يسع عائلة كبيرة العدد بما فيهم أبويه لكنه غير مكلف بهما إذا ما كان لأبيه مورد رزق مثلي.

فاطمة: وبالرغم من علمه بمورد معاشك من التقاعد قد طلب منك ألا تصرف منه على البيت فلسا واحدا فلم تجد مفرا من توزيعه على بناتك، وعودتهن على الهبة كل شهر ولست أدري ما يكون رد فعلهن.

أحمد: لا أعبأ برد فعلهن على موقفي وما يهمني هو الاحتفاظ به كله إلى آخر حياتي منذ الشهر القادم.

فاطمة: سيكون لهن مفاجأة سيئة ولذا أحبذ منك أن تطلعهن على قرارك قبل الموعد مدعيا بأنك مضطر إلى إذخار

دراهمك، من أجل إعادة الحج مرة ثانية وبهذا الادعاء تبرئ سبب اذخار مالك ويستحسنه لك.

أحمد: لا أدعي شيئا لم أقرر فعله وفضلا عن هذا لقد حججت مرة واحدة وهي كافية لمن استطاع ولذا لن أدعي إلا الاحتياط لمستقبلي الغامض في ادخار مالي.

فاطمة: سيكون هذا غير مقنع في نفوس بناتك وهن يعلمن أننا في كفالة زهير وبرضا منه وزوجته اللهم إلا إذا ادعيت به زيارة البقاع المقدسة لعمرة من خالص مالك.

أحمد: قلت لك لن أدعي إلا الاحتياط للإعالة منه في حال ما إذا استغنينا عن كفالة زهير لنا.

فاطمة: ولن نستغني عن كفالة زهير لنا اللهم إلا إذا حدث مكروه له (لا قدر الله) وهذا غيب ونحن في غنى عنه.

أحمد: وقد نستغني عن كفالة زهير لنا ليس بمكروه له (لا قدر الله) وإنما تضطرني ظروف العيش معه إلا الابتعاد عنه إلى دار أخرى، وتوقعا لهذه الظروف أذخر معاشي لها وهو السبب الحقيقي في قراري.

فاطمة: لن أناقشك في قرار إذخار مالك لأنه ملك لك وحدك وأنت حر فيه لكن أعلمك بأنني لن أغادر بيت ابني معك إلى دار أخرى، متى يكون لك رصيد معتبر من

المال الذي ما فتئت تذكر الإعالة منه لك ولي بعدما تنفذ قرار الرحيل الذي أصبحت تبيته في نفسك.

أحمد: إني مازلت لم أعزم على الرحيل لكن حالما يصبح حتما مقضيا علي أرحل وترحلين معي.

فاطمة: قلت لك، لن أرحل معك من أجل أسباب توليها جل اهتمامك حتى دفعتك إلى الانعزال عنا والتفكير في الرحيل بسببها.

أحمد: إذا كنت ترينها هينة في نظرك فهذا شأنك لكن بالنسبة لمتدين مثلي تصبح شغله الشاغل فيعد العدة لها إذا ساومته المحرم فيزهد فيه ويقتات بما تيسر له.

فاطمة: ثق بأن ما حدث سابقا فلن يتكرر بالصفة التي حدثت لا زيارات اللهم إلا من أهل الذي يزرع له العضو وهذا واجب عليهم ونتقبله بصدر رحب ولو أن فيه الاختلاط.

أحمد: وقد أقرر الرحيل إذا ساومني ديني وهنالك ترحلين معي بغير مناقشة.

فاطمة: لن أرحل معك ولو تقرره بعد شهور حالما يصبح لك رصيد معتبر في المصرف وأظن أن زهير يعارض قرار رحيلك.

أحمد: إنه لا يهمني معارضة زهير إذخار مالي ومعارضة رحيلي معك متى يصبح حتما مقضيا علي وما يهمني

الآن هو أن تطلعي بناتك على قرار ادخار مالي، ولن أوزعه عليهن في الشهر القادم وغيره ليكن على علم بالقرار فلا ينتظرن الشهر على أمل الحصول على مال وإنما يكن متأكدات من عدم حصولهن على فلس واحد فيه.

فاطمة: من هذه الجهة أطلعهن على قرارك لكي لا ينتظرن الشهر كأنه شهر شوال لكن إذا لم يحبذن موقفك المفاجئ لهن فلن أبرئ موقفك، اللهم إلا إذا قلت لي إنك أصبحت تخشى سوء معاملة من كنتك سميرة وحاشا أن تفعلها حسب علمي بها لكن دوام الحال من المحال.

أحمد: وأنا كذلك أعلمك بأنني لم أخش سوء معاملة من سميرة فهي عندي نعم الكنة لكن دوام الحال من المحال ، وليس تغيير الحال يكون منها بالضرورة وقد يكون من أمور لم تخطر على بالك، وهذا ما أتوقعه فأحتاط له بالادخار عسى أن يرتاح بالي فإذا كنت مهتمة براحة بالي اطلعي بناتك على قرار الادخار منذ غد ليس بالهاتف وإنما بزيارة لكل واحدة منهن وفي بيتها وليس هنا.

فاطمة: أعدك بأنني أطلعهن على قرارك الغير محبذ عندهن ولا أبالي برد فعلهن لأنه خارج عن نطاقي لكن أعلمك

للمرة الألف بأنني لن أغادر بيت ابني إلى حيث تذهب، اللهم إلا إذا طردني زهير من بيته بتأثير من زوجته مثلما حصل لأمهات ويحصل وهو غير مستحيل عند زهير.

أحمد: ثقي بأنه لن يطردنا إلى أخر عمرنا لكن إذا كان الابتعاد عنه يريح بالي فلن أتردد فيه فارحل وترحلين معي، ولا داعي لمزيد من الاعتراض على مواقفي، لو ظللنا في بيتنا الزوجي مثلما ظل عثمان في بيته، مع زوجته لما مررت بفترات سلبت مني راحة البال.

فاطمة: لقد انتهى ما حيرك ولن يتكرر.

أحمد: بل أنا الذي عزم على التخلص منها مهما يكلفني الأمر.

فاطمة: وقد يكلفك الرحيل وحدك.

أحمد: بل تكونين معي في تلك الدار.

فاطمة: بل تكون فيها وحدك اللهم إلا إذا قررت إعادة الزواج ولن يتردد عثمان في البحث لك عنها لتكون مرتاح البال مثله.

أحمد: لن أقرر إعادة الزواج وأنا شيخ هرم دون السبعين بسنتين ولو يستعصي علي رحيلك معي ، لكن لابد للمحاولة معك ولو استعين ببناتك وأقاربك لأفلح معك.

فاطمة: ولن تفلح بهم وبإضافة التهديد بالضرة.

أحمد: أتقبل رحيلي وحدي فأريح بالي ولا داعي للمزيد من المناقشة قبل الأوان إني بحاجة إلى راحة البال بسكوتك.

فاطمة: أمنحك إياه توا منصرفة وأتركك في البهو وحدك فيرتاح بالك مني.

أحمد: حسنا حسنا هذا ما أريده منك الآن لا غيره.

تنصرف فاطمة فيقرر الجلوس على أريكة ثم ينزل الستار على الفصل الأول.

- ستار -

الفصل الثاني

المنظر
البهو نفسه بعد أسابيع من الأحداث الأولى تكون فاطمة فيه مع زهير وهما جالسان ومتقابلان . فترة .

فاطمة: أظن يا زهير أنك تستمتع إلي جيدا وتقدر ظروف مسارتي لك ولا تعدها حديثا هينا أشحن به دماغك حسبك الاهتمام بعملك.

زهير: أطلعيني عما يشغل بالك ولا تهتمي بعملي، إنني اليوم في العطلة الأسبوعية اتخذتُني في راحة تامة عدا لقاء مع الصحافة لا يشغلني عن الاستماع إليك قدر ما تشاءين.

فاطمة: إني اخترتها نظرا لراحتك لكي أطلب منك فيها وقتا تكون فيه آذانا صاغية لي لأحدثك عما يجول في نفسي على انفراد بك.

زهير: هاتيه بغير إبطاء أو تردد أسري لي بما تشاءين كلي لك آذان صاغية.

فاطمة: وما أسر لك به يتعلق بظروف أبيك وما عزم عليه وقد نفذه حرفا حرفا.

زهير: وما هو الشيء الذي نفذه حرفا حرفا إني لاحظته قد كف عن العزلة عنا وشرود الذهن بعد انقطاع زيارات الأهل لنا وما أحدثته من اختلاط، الذي رأيتموه سببا في عزلته بأي حال قد عاد إلى حالته الطبيعية وهي الأهم عندي.

فاطمة: إنه ما عاد إلى حالته الطبيعية إلا بعدما بيت في نفسه قرار الرحيل عن هذه الدار إلى مسكن آخر حالما يحدث اختلاط مثل السابق، بعد عملية زرع منك في المستقبل لكنني وضحت له بأنها لا تحدث اختلاطا ولا زيارات الأهل لأن العملية تكون مألوفة عندهم.

زهير: وهذا شيء مؤكد لنا وثقي بأن زرع الأعضاء ينتشر على نطاق واسع في بلادنا لا حدث منه في الجرائد يعلمه أبي والأهل، إذن تظل الأمور طبيعية فيه بغير اعتزال فلا تتوقعي رحيله إلى دار أخرى نجاة من الاختلاط.

فاطمة: إنه عازم على الرحيل إليها بدليل ما قرره وقد نفذه حرفيا لقد امتنع عن منح الهبة التي كان يهبها لأخواتك من منحة معاشه وهو الآن عازم على قطعها نهائيا بحجة اضطراره إلى الإعالة من معاشه حالما يرحل عن هذه الدار ولا يدل موقفه هذا إلا على عزمه على الرحيل في أجل مسمى.

زهير: بأي حال إنه مازال هنا لم يرحل وهذا كاف عندي في ألا أشغل بالي به أما فيما يتعلق بأجرته فهو حر في تصرفه منح متى شاء وكف عنه متى شاء فالأمر عندي سيان.

فاطمة: لكن موقفه قد أدهش به أخواتك إلى درجة الاستياء، بعدما عودهن على الهبة كل شهر.

زهير: ربما يعود إلى الهبة لهن في الشهور القادمة وإن لم يعد يألفن موقفه ويتناسينه إذن لا داعي لانشغال بالك بهن.

فاطمة: إني غير منشغلة بهن ما دام الفعل من أبيهن وهن متزوجات كلهن وإنما منشغلة كثيرا بعزمه على الرحيل ومرافقتي له فيه متى يقرره لكنني رفضته له بتاتا ومواجهة.

زهير: اثبتي على الرفض متى يقرره حتى ييأس من قبولك فيدفعه إلى إلغائه نهائيا وبعزيمة عدم تلبية غرضه منك تتخلصين من انشغال بالك برحيله.

فاطمة: قد لا يلغيه الرفض مني ويصر عليه.

زهير: فرضا أنه يفعل ما تتوقعين منه لكن أسألك عن غرض عزمه على الرحيل والنتيجة التي يقصدها منه.

فاطمة: لست متأكدة من قصد رحيله ونتيجتها في نفسه بعدما وضحت له بأنه لا يحدث اختلاط من زيارات الأهل مثلما حدثت سابقا. لكن ظني يتجه إلى عزمه على اطمئنان باله نهائيا مما حيره سابقا ومن كل طارئ

جديد لا يروق له ودليل ظني هو ذكر حنينه إلى البيت الزوجي، وقد عده حصنا منيعا من كل طارئ مثلما يتصحن عثمان الآن ببيته الزوجي مما لا يروق له في بيت أحد أولاده.

زهير: إن الأمر يختلف بالنسبة لعم عثمان لأن كل أولاده لا يملك أحدهم بيتا واسعا يسع عائلته مع أبويه بارتياح ولذا ظل في بيته. أما بالنسبة لأبي فالأمر يختلف فهو في بيت واسع عن رضا مني ومن سميرة وقد ارتاحت نفسه منها.

فاطمة: زهير إنك لا ترى الأمور تتجه إلى التأزم مثلما أرى بقرار أبيك في إذخار ماله عزما على الرحيل متى يحين الأجل المسمى.

زهير: ربما غير أنني لا أستبق الأحداث ولا أؤولها مثلك وإنما أتركها تحدث جهارا.

فاطمة: وما هو الموقف ؟ الذي تتخذه حالما يقرر أبوك الرحيل وهو متوقع عندي بادخار ماله.

زهير: قد لا يكون لي موقف في القضية وإنما الحياد التام فيها إذا ادعى أن رحيله عن هذه الدار يمنحه راحة البال، التي ظننتها سببا في قرار رحيله المتوقع عندك وبحيادي تستطيعين الثبوت على رفض غرضه منك

ولك حجة بل حجج كبر سنه وسنك، وسعة البيت والمعاملة الحسنة من سميرة فتجدين بها الجميع يؤيدون موقفك بما فيهم بناتك فيتراجع عن طلبه منك.

فاطمة: إني متأكدة بأنه يصر عليه حتى ينتشر صداه على نطاق واسع وبإصراره عليه كثيرا يدخل الشك في نفوس بناته وأزواجهن، فيؤول قراره تأويلا سيئا وعوضا عن تأييدي يوافقون أباك في مطلبه مني.

زهير: ماذا تقصدين؟ بقولك فيأول قراره تأويلا سيئا إني أسألك سؤالا واضحا أجيبيني عنه بوضوح من غير تلميح.

فاطمة: أقصد بأن تأويله تأويلا سيئا هو أن يظنوا أن أباك قد تلقى إهمالا من كنته عمدا يدل على رغبتها في إبعاده عن بيتها، وهو السبب الدافع إلى قرار رحيله لاسيما عندما تلجأ إلى الحياد في الاختلاف بيننا ولا تعارض قراره.

زهير: لكنك لم تلاحظي إهمالا من سميرة بشهادتك فكيف يخطر على بالك هذا التأويل السيء منك بينما موقف الحياد مني فهو واجب علي لكي لا أغضب أحدكما علي بانحيازي إلى صفه.

فاطمة: دعنا من التأويلات السيئة فهي مجرد استنتاج مني مازال لم يتحقق وأبوك هنا لم يغادر بيتك وقد لا يغادره

إذا استطعت أن تعدله عن قرار ادخار ماله الذي حدث فعلا، وأنت تتظاهر بأنك تجهل قصده منه وإنما تعد إدخاره له تكديسا للمال بلا معنى ولا فائدة ثم تحثه بإلحاح على العودة إلى المنح لبناته، ولا يكون موقفك من حث أبيك على العودة إلى الهبة لأخواتك انحيازا لهن وإنما رأي صائب في ألا يذخر الإنسان المال عند الكبر بلا فائدة يرجى منها.

زهير: أقول لك بمنتهى الصراحة إنني لا أستطيع أن أتطرق معه إلى قضية إدخار ماله بالرغم من حرمان أخواتي بفعله لأنني أعد موقفه من حريته ألتزم باحترامها لكن إذا أسرت لك إحداهن أو كلاهن بأنهن بيتن الشراء في أنفسهن مما كن ينلنه من أبيهن ألتزم بالا أخيب أملهن في هذه المرة فقط.

فاطمة: لم تخبرني واحدة منهن عن أن أملها قد خيب في الشراء مما كانت تناله من أبيها غير أنهن قد استأن من فعله ورأينه غير صائب. وهن يتمنين ألا يكون موقفه بدافع قاهر له وهن يجهلن قصده منه لأنني لم أطلعهن عليه رغبة مني في ألا يؤول موقفه تأويلا سيئا قبل الأوان، لكن حالما يصبح له رصيد معتبر في المصرف ويقرر الرحيل فهنالك يؤول قراره تأويلا سيئا من الجميع لا محالة.

زهير: حسبي ألا تكون أمي مسؤولة قراره تأويلا سيئا مع الجميع لأنها تدري بسيرة سميرة مع حمويها منذ سنين بينما تأويل الآخرين ولو تكون سيئة ومن أخواتي لا ألقي عليها بالا وهذا كل ما في الأمر.

فاطمة: لكن التأويل السيئة تحدث رد فعل منهم فيوافقون أباك على الرحيل ولن تنجو من الظن السيء فما بالك بسميرة وقد يعدونها السبب الوحيد فيه.

زهير: جهلا بمعاملتها الحسنة لحمويها.

فاطمة: أجل ولذا أرى أن تهتم بالأمر قبل حدوثه وأقول لك: بكل صراحة إنني أرفض الرحيل متى يقرره لكنني لا أثبت على الرفض إلى مالا نهاية لكي لا أمكنه من سبب إعادة زواجه لا يستنكره له الجميع بمن فيهن أخواتك.

زهير: ماذا تريدين مني لأهدى هواجسك من توقع رحيله ورحيلك معه آخر لحظة إلى حيث يذهب خشية من أن يتخذ لك ضرة وقد ظننت أنك لا تعبئين بها.

فاطمة: ليس خضوعي له آخر لحظة خشية من الضرة وإنما خشية من أتهم بأنني فرطت في أبيك المسن فدفعته إلى إعادة الزواج مرتاح البال بعذر وحدته.

زهير: أماه أترجاك أن تبعدي كل هذه الهواجس التي تختلج منها نفسك لأن رحيله لم يتحقق بعد.

فاطمة: لأن وقته لم يحن ولا مفر له منه بدليل ادخار ماله وقد تحقق وتفوهه عن الإعالة منه ومن خلال الأحداث الجارية أريد منك أن تحث أباك على عمرة من جيبك، تأمن بها التأويلات السيئة متى يعزم أبوك على مغادرة بيتك وأكون مرتاحة البال إذا ثبتت على رفض رحيلي معه على الدوام لأن الجميع يسفهون قرار رحيله عن بيت ابنه وهو يحسن إليه، فلا يجد مفرا من العدول عنه لكي لا يتهم بأنه خرف إذا ما ادعى حجة راحة باله في سبب قراره.

زهير: أماه إني مستعد على أن ألبي طلبك مني ليس بثمن عمرة واحدة من جيبي وإنما بثمن عمرتين لك وله إذا ما طلبته مني، فيكون لك حجة بينة في رفض رحيلك معه إلى ما لا نهاية وتجدين الجميع يؤيدون رفضك فعساه يكون الفعل مني نافعا هذا ما أحرص عليه فأتفادى به من أن أتهم بأنني فرطت في أبويي من تلقاء نفسي أو بدافع من زوجتي ، وإن هذا الاتهام محتمل عندي من الذين يجهلون الأمور فيظنون ظن السوء.

فاطمة: حسنا، حسنا أبيت وقوفك إلى جانبي فأفلح في الرفض مع أبيك.

زهير: أظن أنني أديت واجبي في تلبية طلبك مني ولم يبق شيء يذكر على انفراد بك.

فاطمة: أجل قد تحقق ما أردته منك فإذا أردت الذهاب لشأنك أذن لك به.

زهير: **يقوم** إنه مجرد لقاء مع صحافي في العطلة الأسبوعية فلم يجد مفرا من القبول بموعده.

فاطمة: لا أشغلك عن هذا اللقاء بمزيد من الحديث معك بعدما توصلنا إلى الاتفاق على خطة محكمة ، تلجم أباك بل تخرسه عندما يجد الجميع يسفهون رأيه، **تدخل زينب من الباب الخارجي.**

زينب: عما مساء.

زهير: أهلا وسهلا زينب.

زينب: كيف حالكما؟ وحال أبي وسميرة كذلك.

فاطمة: كلنا بخير ولا ينقصنا إلا زيارتك وزيارة أخواتيك رقية وخديجة.

زينب: ها أنا قد أديت لكم زيارتي بعد تردد أما زيارة رقية

وخديجة ربما لا تحدث اليوم وفي الأيام القادمة لما تتوجسان من الظروف الطارئة التي حدثت من أبي في قطع هبته لنا ولعل زهير يدري بها.

فاطمة: ثقي يا زينب بأن زهير يدري بها ولم أخفها عنه لكنه اتخذ موقف الحياد فيها.

زهير: لا تشغلي بالك بما فعله أبي وعديه موقفا يخصه وحده فلم ؟ الاهتمام به.

زينب: إني سأتخلص من انشغال البال إذا كان موقفه بريئا كأن يكون قد وهب لنا الكثير من ماله وقد حان له الوقت بأن يكف عن الهبة لنا ليذخر ماله ولا يوجد دافع سيء له.

زهير: زينب إن المال ماله وهو حر التصرف به منح منه متى شاء وكف عن المنح منه متى شاء وإن سلوكه لا يعد عندي ذا أهمية أشغل بالي به، اتخذي الموقف نفسه مثلي تتخلصي من هواجسك.

فاطمة: زينب بيتي حسن النية في موقف أبيك ولا تظني شيئا سيئا في دماغك وهذا ما تتخذه البنت الصالحة في سلوك طارئ لم يعجبها من أبيها.

زينب: إني إلى حد الآن لم أظن شيئا سيئا دفعه إلى قطع

هبته لنا وكلما راودتني ظنون سيئة في نفسي أشك فيها بفكرة عزمه على ادخار ماله، ليكون له رصيد معتبر قد يدفعه إلى الحج ثانية من خالص ماله بارتياح.

فاطمة: بيتي حسن نيتك وهيا بنا نجلس وندع أخاك يذهب لشأنه لقد كان على استعداد للخروج ولم يؤخره إلا بسببك لكونه له موعد مع الصحافة.

زينب: في إمكانك الذهاب يا زهير لا أشغلك عن موعدك مع الصحافة.

زهير: لولا الموعد لتبادلنا أطراف الحديث برهة من الزمن وقد يطول.

فاطمة: في إمكانك الذهاب وإن موعدك أهم من الحديث معنا.

زهير : أتركك يا زينب مع أمي على انفراد بها وإن لم أعد قبل عودتك إلى بيتك أقول لك : أعيدي الزيارة ثانية في الأسبوع القادم بغير تردد فعسى أن تجدي أبي وسميرة وأجد الوقت الكافي في حديث مطول معك.

زينب: لا أعدك بها إلا إذا بشرتني أمي بأن أبي قد تراجع عن قطع هبته لنا فننتظرها منه في الشهر القادم.

زهير: هذا خارج عن نطاقي وما في إمكاني هو الترحيب بك وبأخواتيك في كل زيارة لنا قادمة. **يخرج**

زينب: أماه إن فرصة انفرادنا تشجعني على أن أخبرك عما رجح من أحداث في موقف أبي المفاجئ لنا أقول لك : صراحة لا نار بلا دخان، لقد توصلنا نحن بناتك إلى نتيجة غير سارة من قطع هبة أبي لنا دفعه إليه حافز قاهر وهذا هو السبب في الفعل الطارئ منه.

فاطمة: أي شيء قاهر ؟ دفعه إلى فعلته غير رغبته في أن يكون له مال موفر قدر ثمن حجة لا يتردد فيها مستقبلا.

زينب: إني لا أخالفك الرأي وقد احتملناه لكننا وجدناه ضعيفا في أنفسنا باستنادنا إلى فجائية الحدث وقد كان في إمكانه أن يطلعنا على قصده من قطع الهبة، ولا يقطعها فجأة وإنما يمهد له بأن يمنحنا نصف ما كنا نناله منه ثم ينقصه إلى الثلث فالربع ثم ينعدم ونحن على دراية بالقصد منه غير أن هذا لم يكن منه فاستخلصنا الدافع القاهر له من سلوكه.

فاطمة: استنتجي ما شئت مع اخواتيك خلا ما يسيء إلى زهير وسميرة إني أشهد لهما في غيابهما بحسن المعاملة معي ومع أبيك، وفضلا عن هذا قد وعدني زهير بثمن عمرتين لي ولأبيك إذا ما طلبته منه وهو يدري بأن أباك قد كف عن الهبة لكن من أجرته.

زينب: إننا كلنا مازلنا لم نشك في حسن سيرة سميرة معكما وتفكيرنا مصروفا عنها حتى يظهر منها الفعل أو القول الذي يدفع إلى الشك في نوايا نفسها لكن قلت لك : لا نار بلا دخان.

فاطمة: ماذا تقصدين.؟ بقولك : لا نار بلا دخان بعدما أبعدت سميرة عن دافع قطع الهبة لكن مؤقتا.

زينب: استرجعي في ذاكرتك الأيام التي اعتزلنا فيها أبي وظننتها بسبب الاختلاط وظننتها سميرة بسبب حسن الترحيب تقتربي من إدراك قصدي لا نار بلا دخان.

فاطمة: لقد كانت عزلته عنا بسبب الاختلاط والترحيب ولا أدرك غيرهما لكن بعدما وضحت له بأن ما عكر صفو حاله لا يتكرر عاد إلى حالته الطبيعية.

زينب : بل قولي وجد نتيجة في عزلته دفعته إلى قطع الهبة لنا ليوفر به مالا يمكنه من الابتعاد عن بيت ابنه ولا يكون قصده منه ابتعادا عن الاختلاط الذي لن يتكرر حسب رأيك، وإنما رغبة منه في أن يمنح زهير استقبال زواره بكل ارتياح وترحب بهم سميرة قدر جهدها ولا يكون لها استياء من أي أحد، علما بأن زهير سيقوم بعملية زرع ثانية وقد يكون المزروع له فلان وفلان من أكابر الناس وها هو زهير له موعد مع الصحافة

وتعقبه مواعيد من أغنياء في بيت زهير يرحب بهم قدر مكانتهم في المجتمع ، فأراد أبي ألا ينقص من الترحيب بهم شيئا منه ولا يتسنى هذا الترحيب الحسن والمبالغ فيه إلا إذا كان أبي غير محرج فيه، ولذا قرر الانعزال في بيت مستقل عن بيت ابنه بدليل التمهيد له بتوفير أجرته كاملة تمكنه من قصده وهذا ما توصلنا إليه نحن بناتك.

فاطمة: لقد أخبرتني رحمة منذ أسابيع عن أن الحاج عثمان قد ظن في شرود ذهن أبيك وهو يجالسه في الحديقة العمومية أنه ناتج من التفكير في مغادرة بيت ابنه معللا ظنه بأنه يكون تفاديا للقيل والقال وقد استبعدت ظنه لأن أباك لا يعبأ به غير أنه بعدما تقاربت الظنون في ظرف أبيك أرجح صحة ظن عثمان ، في ألا يكون أبيك حديث القيل والقال فدفعه إلى قصده بالأحداث التي نعلمها يقينا منه.

زينب: مهما اختلفت ظنوننا في تفسير تفكيره فإنه يتجه إلى الرحيل سواء ألا يكون محرجا لزهير وسميرة أو لا يمكن زوارهما من القيل والقال والاغتياب فيه، وبكلا الموقفين الذين لا يرضاهما أبي لنفسه برز منهما موقف واحد له وهو قطع الهبة لنا فجأة استعدادا عما عزم عليه ورآه راحة لباله.

فاطمة: مهما يكن إصراره على قطع الهبة لكن إلى الأبد فلن أعارضه لأن المال ماله، لكن إذا قصد بالفعل مغادرة هذه الدار فلن أغادرها معه وإنما أتركه يذهب وحده.

زينب: إن موقفك هذا غير صائب لأنه يتهمك بعدئذ بالعصيان له أتمنى ألا يعقبه بشيء سيء لك ولنا جميعا.

فاطمة: تقصدين من الشيء السيء يتخذ لي ضرة.

زينب: أو يكون الشيء أسوأ منها.

فاطمة: الطلاق.

زينب: أماه إني أرى قطع الهبة لنا غير مريح لبالنا جميعا بما فينا زهير وسميرة ولذا يجب علينا أن نعدل أبي عن القطع لكي لا يوفق به في قصده ثم يؤول تأويلا سيئا في اتجاه سميرة لا محالة.

فاطمة: لكن المال ماله فكيف ؟ نثنيه عن فعله يملك زمام الحكم به.

زينب: نذكره بأنه وهب لنا من تلقاء نفسه واستمر على الهبة لسنين عديدة تجعلنا نحن بناته الثلاث لا نتوقع قطعها عنا إلى آخر عمره وهو مقيم مع ابنه وسيظل، إلا إذا طرده ابنه من بيته بتأثير من زوجته وبما أن زهير لم

يفعل إذن لا دافع له إلى القطع ثم نحثه على العودة إلى المنح لنا فإذا رفض نطالبه بقصده من القطع.

فاطمة: وإذا قال لنا وهبت متى شئت وامتنعت متى شئت وقد حانت المشيئة وقد سمعت منه هذا القول.

زينب: نقول له ولا دافع لك من مشيئتك في الامتناع غير شيئين اثنين لا ثالث لهما إما كنز المال وقد نهى الله عن كنزه ولا يفعله متدين مثلك، وإما تتوقع طردك من بيت ابنك وهذا ظن فقط غير متيقن منه وفي بعض الظن إثم لا يليق بصدوره من متدين مثلك.

فاطمة: وإذا ادعى توفير المال للحج وإنه مستبعد عندي فبماذا ؟ نواجهه بعدئذ.

زينب: إذا ادعى الحج من التوفير وهو مستبعد عندك لكنه يلجأ إلى ادعائه ليصرف مواجهتنا له نوافقه على الادعاء لكنه يعود إلى الهبة لنا بعد الحج، وفضلا عن هذا قد قلت لي آنفا لقد وعدك زهير بثمن عمرتين من جيبه نذكره لأبي.

فاطمة: نعم برا بوالده وأبوه لا يجهل هذا البر ولذا أحتمل أنا كذلك معكم أن أباك يرغب في الابتعاد عن بيت ابنه بشتى الوسائل لكي لا يكون محرجا أو مغتابا أو مستاء من الاختلاط إلخ...

زينب: مهما تكن الاحتمالات والظنون سيئة ومتشعبة في امتناعه عن الهبة لنا لا تمنعنا من محاولتنا في ثنيه عن قطعها عن بناته. **تدخل سميرة**

سميرة: أهلا وسهلا زينب ومن حسن حظي أني عدت وتسنى لي اللقاء بك ولست أدري ما غيبك؟ عن زيارتنا في الأسابيع الماضية وليس هذا من عادتك لأنك كنت تزورينا أسبوعيا.

فاطمة: لا تشغلي بالك بغيابها لأسابيع مضت وقد يكون لها عذر.

سميرة: ربما لكنها لم تخبرنا عنه وقد يكون عذرها بسبب دعوة عرس أو عيد ميلاد.

زينب: لم أكن مدعوة إلى أي مناسبة على الإطلاق إلا أن الظروف التي طرأت من أبي هي سبب غيابي عن زيارتكم لأسابيع وأمي تدري بها.

سميرة: إني لا أتبين قصدك من قولك الظروف التي طرأت من أبي التي جعلتها سببا في الغياب.

زينب: إني مستعدة على أن أوضح لك كلامي إذا وافقت على مساعدتنا في الموقف الذي عزمنا على فعله أنا وأمي منذ لحظات قبل مجيئك.

فاطمة: لا داعي للاهتمام بظروف أبيك وإنما ننتظر الأحداث القادمة منه ثم نتخذ لها موقفا ثابتا وقد تنضم سميرة إلينا.

سميرة: ظننت أن عم الحاج قد أصبح لا يشغل بالنا بعد عودته إلى حالته الطبيعية فإذا بكما تعزمان على موقف ثابت إزاء أحداث قادمة منه، وقد يكون لي رأي فيها يساعد على انفراجها وأتمنى أن تكون هينة علينا فيساهم رأيي معكما في صرف انشغال بالكما عنه.

فاطمة: ربما يكون لك رأي في انشغال بالنا به غير أنك لا تستطيعين في ثنيه عما فعل الحاج أقول لك صراحة لقد كف عن الهبة من أجرته لبناته في الشهر الماضي وهو عازم على هذا الفعل إلى آخر عمره، وهذا هو سبب عذر زينب في غيابها عن زيارتنا لم يعجبها موقفه المفاجئ لها ولأخواتيها.

زينب: بل لم يعجبنا جميعا بما فينا زهير وقد يكون موقف سميرة مثلنا.

سميرة: لم أدر بهذا الحدث الجديد من عم الحاج ولم يخبرني عنه زهير.

زينب: ها أنت خبرت عنه فهاتي مساهمتك معنا فيما يشغل بالنا.

سميرة: قبل أن أقدم رأيا متواضعا في قطع الهبة أستفسر عن سببه وقد أحبذه إذا قصد بفعله توفير ثمن رحلة إلى البقاع المقدسة من خالص ماله.

زينب: لم يذكر لنا السبب فتركنا نظن ونخمن مثلك حتى رسى تخميننا على عزمه على مغادرة هذه الدار إلى أخرى متى يتوفر له رصيد معتبر.

سميرة: هذا مجرد احتمال واه منكما لا يقنعني بدليل عودة عم الحاج إلى طبيعته هادئ البال.

زينب: وحجتك ضعيفة عندي بدليل قطع هبته عن بناته ولا دافع له إلى فعله إلا رغبتين اثنتين لا ثالث لهما، إما رغبته في الحج وبما أنه لم يخبر عنها نستخلص رغبته في مغادرة هذه الدار سميرة قولي ما ؟ يكون موقفك لو يعودك أبوك على المنح لك من أجرته لسنين عديدة ثم يقطعه عنك فجأة فيما يكون؟ احتمالك إزاء موقفه المفاجئ لك.

سميرة: يفاجئني ثم أحتمل أن زيادة مصاريف البيت هي السبب في موقفه أو أراد توفير مال هبته لي لغرض مهم عنده.

زينب: وإن احتمالك لم يبتعد عن احتمالنا في الحج وبما أنه

لم يذكره نحتمل مواجهته لمصاريف بيته بعدما يغادر بيت ابنه ولو لم يكن قصده من القطع المغادرة لما اضطر إليه لأنه بغير مصاريف معكما.

سميرة: أجل لأن زهير رغب منه بإلحاح في ألا يصرف فلسا واحدا على البيت فلم يجد بدا من اقتسام جل راتبه على بناته.

زينب: لكنه الآن قد كف عن اقتسامه بين بناته نستخلص منه رغبته في الرحيل.

سميرة: أو رغبته في الحج ولم لو يذكرها لكم.

فاطمة: إننا كلنا نجهل السبب الحقيقي في الفعل المفاجئ من الحاج ولا تتسنى لنا معرفة اليقين إلا من الحاج نفسه.

زينب: ندفعه إلى قول الحقيقة في قطع الهبة ليكون لنا موقف واضح من فعله.

سميرة: إني لا أعارضكم في أن تدفعوه إلى الإفصاح يقينا عن قصده من قطع الهبة غير أنني لا أواجهه معكم لأن الأمر خارج عن نطاقي لكوني كنة له ولست بنتا له.

زينب: بل يكون في نطاقك لكون قصده يصب في الابتعاد عن بيتك بعدما أصبح يشعر بعدم الارتياح فيه.

سميرة: ولأي سبب ؟ ما دام الجميع يشهد لي بحسن المعاملة

معه خلا استيائه من الترحيب بالزوار حسب ظني فيه.

فاطمة: إن مناقشتنا ما برحت تتشعب في ظروف الحاج وهذا تضييع للوقت بينما الأمور قد أصبحت تتجه إلى التأزم ولا انفراج لها حتى نعلم قصده علم اليقين.

سميرة: اسأليه يا خالة عن قصده من الفعل وأظن أنه لا يخفيه عنك بصفتك زوجته.

فاطمة: لقد سألته عن قصده من الفعل فادعى بأنه يحتاط للإعالة براتبه كاملا فلما ذكرته بكفالة ابنه له تغنيه عن الادخار عدها غير آمنة لأن ظروف قد تدفعه إلى الابتعاد عن بيت ابنه، ولم يوضحها لي وهذه الظروف التي يخشى منها هي صميم هدفنا فلنوجه سهمنا إليها.

سميرة: لا أرى ظروفا بوضوح تدفعه إلى الابتعاد عن بيت ابنه ما دام مقيما برغبة من ابنه في بيته.

فاطمة: لكنه ذكرها وهو يتوقعها بدليل توفير ماله للإعالة منه وقد أفصح عن قصد توفير ماله للإعالة.

سميرة: ما دام قد تفوه لك بأنه يتوقع ظروفا تبعده عن بيت ابنه إذن اسأليه عنها ليوضحها لك صراحة من غير إبهام.

فاطمة: لقد خمنت فيها فذكرت له توقع طرد ابنه له فنفاها ثم

أردف قائلا: إنها ظروف لم تخطر على بالك وأبي الإفصاح عنها صراحة ، فلا نظل نخمن فيها نحن النسوة وإنما نستعين بزهير على معرفتها فلعله يذكرها له إذا لم تحرجه.

سميرة: لا أعترض على رأيك هذا ما دام الموقف بين الأب والابن وقد يسر له عن الظروف التي يخشى منها، وأتمنى ألا أكون طرفا فيها كأن لم يعجبه مني الترحيب بالزوار وهو الآن يخشى من تكراره.

زينب: مهما تكن الظروف التي أصبح يخشى منها أبي ويتوقعها فيجب علينا جميعا معرفتها عسى أن نجدها هينة فتمكننا من ثنيه عن التفكير في الرحيل.

فاطمة: ولن نتوصل إلى معرفتها إلا بواسطة زهير ولن يقوم زهير بالأمر حتى تدفعه سميرة إليه دفعا لأنه رفض لي طرق موضوع قطع الهبة عن بناته معه وعده من حريته.

سميرة: ما دام رفض لك طلبك منه في قضية الهبة وأنت أمه سيرفض لي غرضك مني.

فاطمة: بل يهتم بالأمر في هذه المرة بعدما تجاوز موضوع الهبة حرية التصرف بماله وهو حر فيه إلى قصد الإعالة منه حالها يرحل عن هذه الدار.

سميرة: مهما يكن القصد الذي أراده بقطع الهبة سواء للحج أو للرحيل ولا أحبذه، فلن أدفع زهير إلى مواجهة أبيه في الأمر الواقع لأنه خارج عن نطاقي بصفتي زوجة لأحدهما وكنة للآخر.

فاطمة: بل بهاتين الصفتين لا يكون الأمر خارج عن نطاقك لأنه يحدث في بيتك.

سميرة: حسبي ألا أكون السبب وأن دافعه خارج عن مجالي.

زينب: ومن يدريك بسببه ولعله يحوم حولك.

سميرة: في ماذا؟ مثلا خلا الترحيب بالزوار.

زينب: ها قد اقتربت من سبب رغبة أبي في الرحيل لكن ليس استياء من حسن ترحيبك بهم، وإنما رغبة منه في أن تكون لك الحرية المطلقة في استقبال زوارك حسبما يقتضيه الاستقبال المألوف عندك دون أدنى خشية من امتعاض أبي منه.

سميرة: ثقي يا زينب بأنني أخذت على عاتقي منذ أسابيع مع أمك بأن أدع لها الترحيب بالزوار وأكون صامتة قدر جهدي فيه.

فاطمة: سميرة إن ظنوننا في عزلة الحاج عنا قد تزعزعت في نفسي بعدما علمت أن الحاج عثمان قد ظنها بسبب

القيل والقال من الزوار في أنه مقيم في بيت ابنه، ولا يستبعد أن يكون الاغتياب فيه قد دفعه إلى التفكير في الرحيل وهو السبب الحقيقي المقنع لنا من قطع الهبة للإعالة منها بعد قرار رحيله عن بيت ابنه.

سميرة: هذا مجرد ظن ضعيف من عم عثمان مثل ظنوننا بدليل وجود أباء يقيمون في بيوت أبنائهم ولم يفكروا في الرحيل عنها ولم يخلوا من القيل والقال والاغتياب.

فاطمة: لا أخالفك الرأي وأنا واحدة منهم لكن قضية الحاج مازالت مبهمة عندنا بعدما ضعفت ظن عثمان، ولذا أرى أن السهم الذي يصيب الهدف هو أن نقحم زهير في مشكلتنا فنجد عنده الحل الصائب.

سميرة: قلت لك: آنفا لا أعترض غرضكما ما دام الأمر بين الأب والابن وأضيف لا حرج لي إذا انضممت إلى ابنك في مواجهة زوجك عسى أن تفلحا في ثنيه عن التفكير في الرحيل إذا كان هو غايته من أحداثه وأكون سعيدة بفلاحكما.

فاطمة: و لن نفلح معه في ثنيه عن الرحيل حتى نرجعه إلى الهبة لبناته.

زينب: نعم الرأي منك يا أماه.

سميرة: وطوبى لبناتك برجوعه إليها غير أنني أكون على الحياد فيما تلجأون معه وأعيد ذكر موقفي للمرة الألف.

زينب: بل تساهمي في الأحداث ولا تكوني على الحياد لكي لا يدفعنا إلى الظن السيء في موقف حيادك.

سميرة: وأي ظن؟ سيء في موقف حيادي.

زينب: قد تُظن على سبيل المثال أن موقف حيادك نافع لك برغبتك في ابتعاد أبي عن بيتك ليتسنى لك الترحيب بالزوار بارتياح.

فاطمة: زينب لا داعي لأن تثيري الظنون السيئة في سيرة سميرة ، إني أشهد لها بحسنها في غيابها.

زينب: فلتبرهن على حسنها بمعارضة أبي في قطع هبته لبناته دليلا على رضاها عن إقامتكما معها في بيتها.

سميرة: لن أعارضه مواجهة فيها ولو يكون قصد قطعها توفير المال للرحيل وليس الحج لكون الفعل خارج عن نطاقي بصفتي كنة له، وألتزم بهذا الموقف دوما بالرغم من أنني لا أحبذ رحيله ولن أعارضه فيه إذا قرره وإنما ألتزم بالحياد فيه كذلك.

زينب: إن لم تعارضي الأحداث التي تسيء منه لبناته وزوجته تكوني راغبة حقا في قرارة نفسك برحيل أبي وأمي عن

بيتك.

فاطمة: مهلا زينب لا تكلفيها بما لا تستطيع.

زينب: بل تستطيع وإن لم تفعل بما نطالبها به تكن راغبة راضية عن رحيل أبي عن بيتها وهذا هو رأيي أنا كذلك على الدوام فيها.

فاطمة: زينب لا تتفوهي عشوائيا إن ما سمعته منك يعد شكا واضحا في حسن سيرة سميرة تعقلي ولا تدعي الغضب يقدك إلى ما لا تحمد عقباه.

زينب: إن ما صدر مني ناتج من سلوكها لقد رفضت مواجهة أبي معنا.

فاطمة: و بالرغم مما سمعت منها مواجهة لا يحق لك بما تفوهته إني أرغب منك أن تعودي إلى بيتك، بعدما تمكن الغضب منك فنطقت بالسيئ فيها وإني أخشى من استولائه على نفسك فتتفوهين بالأسوإ بغير تعقل.

سميرة: لن أجاريها فيما تفوهت به رجاء مني في هدوء الأحداث التي دفعتها إلى الشك فيما لا أساس له من الصحة.

فاطمة: إن ظروفها استثنائية وليس من عادتها الغضب عليك ولذا أرغب منها العودة إلى بيتها توا وتدع شأن أبيها

لي.

زينب: حسنا سأبيت هذا في نفسي اليوم على أمل بأن تبشريني بعدئذ بعودة ينبوع الماء إلى مجراه. **تخرج**

فاطمة: أناشدك يا سميرة بعاطفة الأمومة بأن تعذريها فيما تقولته ولولا ظروفها لما قالت ما لا يقال.

سميرة: إني لم أقابل شكها في حسن سيرتي مع الجميع بالسيئ مني ابتغاء الفرج.

فاطمة: أحسنت يا بنيتي لو لم تكن زينب صغرى بناته وشديدة التعلق به لما غضبت على فعلة أبيها الذي كانت تنتظر منه الأحسن، فإذا به يخيب ظنها فيه فسمعت منها ما لا يعجبك أو ربما أغضبك.

سميرة: ثقي يا خالة بأنني أظل هادئة ولن أقابل السيئ بالسيئ وإنما ألجأ إلى الحياد ابتغاء في ألا أكون طرفا فيما يشغل بال العائلة الكبيرة.

فاطمة: وثقي يا سميرة مني بأنني لن أسمح لواحدة منهن بالشك في حسن سيرتك وإذا كن قد غضبن على أبيهن فليحددن غضبهن حده ولا يبتعد عنه.

سميرة: لا تشغلي بالك بي حسبك ظروف زوجك وبناتك وختاما لحديثنا أقول لك إني ذاهبة لتهيئة العشاء.

فاطمة: لك مني الانصراف عني بكل ارتياح لك فيه بينما أنا أنتظر عودة الحاج إلى البيت في البهو لأسوي مشكلتنا معه اليوم ولا أنتظر حتى يتحقق ما نتوقعه منه اللهم وفقني فيما عزمت عليه **تجلس على أريكة على مهل تنصرف سميرة وهي ذاهبة تخفت الأضواء ثم ينزل الستار على الفصل الثاني.**

. ستار .

الفصل الثالث

المنظر

البهو نفسه بغير تغيير بعد أسبوعين من الأحداث السابقة يكون فيه الحاج أحمد وزهير جالسين ومتقابلين . فترة .

المشهد الأول

أحمد: زهير إني راغب منك في أن أسر لك في هذا الليل الساكن على انفراد بك بعدما جمعت أمري في أن أواجهك صراحة في عملك وأخص بالذكر زرع الأعضاء، التي أصبحت تقض مضجعي ليلا وتشرد ذهني نهارا لاسيما بعدما قرأت في الجريدة التي أدليت لها بمواقفك في زرع الأعضاء، اللامبالية بأحكام الشرع كأنها هينة عندك لكنها تعد عندي أسس حياتي.

زهير: لا ألزمك بقبول مواقفي في قضية زرع الأعضاء وإني أعلم أنك لم توافق على قولي في الجريدة لأنك ربما تكون مؤيدا ومقتنعا بفئة الفقهاء الذين حرموا هبة العضو مطلقا، بحجة ملكية جسم الإنسان ملكية رقبة لله فلا يحق له التصرف بجسمه وإنما يعيده بالصفة التي تلقاها منه.

أحمد: إني غير مقتنع بهذه الفئة الآن بعد صراع في نفسي بين الفئتين المختلفتين انتهى بأخذ رأي فئة فقهاء إباحة هبة العضو فيحق زرعه لكنك قلت في الجريدة إنك لا تمتنع عن زرع يكون عضوه بيعا، وهذا هو موضوع

مناقشتي لك مطولا راجيا منك أن تعود إلى صواب الرأي وتعد ما أبحثه لك في زرع الأعضاء المباعة وهي محرمة باتفاق الفقهاء ما هو إلا مجرد حديث عابر منك لا تلتزم به متى يجد الجد.

زهير: لم أكن أهزل بتصريحي للجريدة منذ أسبوعين في مواقفي وإنما ذكرت ما ألتزم به عندما يتحقق لي الزرع من البيع لأنني غير مقتنع بفتوة تحريم بيع الأعضاء مثلك، وإنك ترى اقتناعي مخالفا لاقتناعك قل لي بربك ما هي؟ الآية الصريحة التي يدل تأويلها على تحريم الأعضاء أو الحديث الشريف كذلك وإنما صدرت اجتهادات من فقهاء بتأويل آيات وأحاديث محرمة البيع لم تقنعني.

أحمد: إن لم تقتنع بها فهذا شأنك لكنني مقتنع بها مادامت صدرت الفتوة عن فقهاء أجلاء.

زهير: وصدرت عن فقهاء نزهاء فتوة تحريم هبة أعضاء الإنسان فها نحن أمام فتوتين متناقضتين صدرتا عن فقهاء نزهاء، من حرم الهبة، ومن أباحها كأن القضية التبست عليهم فظهر الخلاف بينهم.

أحمد: لا يوجد التباس بينهم وإنما القضية واضحة لديهم غير أن الذين أباحوا هبة عضو الإنسان استندوا إلى حجة

الضرورات تبيح المحظورات ولولا هذا الحديث حجة لهم لحرموها مثل أولئك سواء بسواء.

زهير: وهل نسي ؟ الحديث الضرورات إلخ... حجة لهم عند الذين حرموا هبة العضو أم تناسوه لتأتي فتوتهم وفق الهوى.

أحمد: وجه سؤالك هذا لفقهاء تحريم الهبة وليس لي وفضلا عن هذا لم أتبع فتوتهم وإنما اقتنعت بفتوة إباحة هبة العضو.

زهير: فلأعد لك سؤالي بصفة أخرى عن الذين تتبع فتوتهم فتبيح معهم هبة العضو وهل غاب ؟ عن خاطرهم حديث من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، فيكون لهم حجة في إباحة بيع الأعضاء ورب ثمن من غني في عضو فقير ميت يكون فرجا لأرملة وأيتامها بعد موت كفيلهم لم يترك لهم نقودا يقتاتون بها.

أحمد: إني غير مقتنع بحديثك هذا لأنني أراه في غير محله لأنك جعلته كأنه يدل على ميراث فيحق للأرملة به بيع عضو زوجها مثلما يحق لها الأكل من الميراث وفضلا عن هذا لست فقيها فلا يحق لك الإفتاء.

زهير: إني أعلم أنني طبيب ولست فقيها لكنني لم أر ضررا

يستند إليه فيحرم به بيع الأعضاء بل يكون فيه انتفاع وفي هبتها لا ينتفع منها إلا الذي وهب له العضو.

أحمد: بل ينتفع منه الواهب والموهوب له لأن هبة العضو حسنة جارية للميت لا تضن بها أرملته عليه إذا افترضنا أنه ترك أرملة.

زهير: وإذا افترضنا أن المقبور قد ترك أرملة وأيتامها بغير قوت ووافقت على الحسنة الجارية له لزهد فيها، وفضل ألا يوهب عضوه وإنما يترك بجسده فيفنى بفنائه ولا ينتفع منه غني يضن بماله على أولاده اليتامى.

أحمد: قد يقدم الموهوب له العضو مكافأة للواهب وقد أوصى بها الفقهاء الذين أباحوا هبة العضو تشجيعا على الهبة.

زهير: أجل لقد حثوا على المكافأة لتكون تشجيعا على التبرع بالأعضاء وإني أرى وصيتهم على المكافأة إباحة ضمنية منهم في بيع الأعضاء، لم يتفوهوا بها صراحة لكون القضية طارئة عليهم غير مألوفة لديهم.

أحمد: ليس هذا وإنما رأوا البيع محرما فحرموه.

زهير: بغير دليل قاطع وإنما بتأويلات سخيفة غير مقنعة من الكتاب والسنة لا غيرها.

أحمد: ما دام الفقهاء قد حرموا البيع ألتزم بالفتوة وأريد منك أن تلتزم بالفتوة مثلي.

زهير: لك أن تقتنع بفتوتهم وهذا شأنك وأنت حر فيه ولا ألزمك باقتناع بيع الأعضاء من الأموات مثلي، بينما من الأحياء لا أبيحه لأنه قد يقع ضرر على الحي وقد منع نقل الأعضاء من الأحياء في بعض الدول توقعا للضرر، غير أنه إذا كان النقل بين المحارم أوافق عليه وأعده تضحية حسنة ويكون حتما هبة.

أحمد: لا يهمني نقل الأعضاء من الأحياء بين المحارم أو غيرهم وإنما يهمني منك أن تحرم بيعها من الأحياء أو الأموات سواء بسواء اقتداء بالفقهاء ولن يحل بيعها بحجج تقدمها تخالف بها رأي الفقهاء.

زهير: لو اقتنعت برأيهم في تحريم بيعها وأخص بالذكر من الأموات لما أزرعها مستقبلا، وفضلا عن هذا إذا كان البيع محرما حسب رأي الفقهاء فإنه لا يقع عليك وزر نقلها لأنك غير الفاعل.

أحمد: وإن وزر نقلها بيعا يقع عليك وبما أنك تكسب دراهم من نقلها أكون شريكا لك في الإثم لأنني أقتات منها في هذه الدار.

زهير: في إمكانك أن تأكل من معاشك ولا داعي للأكل مما أكسبه وإن يكون كله آثما.

أحمد: لقد بدالي حديثك معي في أنك مصر على إباحة بيع الأعضاء وزرعها ولا أمل لي في رجوعك عن موقفك اللامبالي بالتحريم، ولذا أقابل موقفك بموقف رحيلي عن بيتك إلى مسكن أكتريه لكي لا آكل مما حرم.

زهير: لم يفاجئني موقفك بعدما علمت من أمي أنك قطعت الهبة عن بناتك لكونك توقعت رحيلك عن هذه الدار فتوقع معارضة أمي لك فيه.

أحمد: لا أهتم بمعارضة أمك أو أخواتك لأن الظروف هي التي دفعتني إلى العزم على الرحيل لكي لا آكل مما حرمه الله، ولا يتسنى لي خالص الأكل من معاشي إلا إذا كنت بعيدا عن هذه الدار لأن مصاريفها متعددة بدأ من الكراء فالكهرباء... إلخ.

زهير: أدري بمصاريفها المتعددة وهي كلها من أجرتي، غير أنه إلى حد الآن مازلت لم أكسب ما تحرم ثمنه ولك أن تنتظر حتى أفعل.

أحمد: بل استعد على الرحيل منذ هذه الليلة ولا أنتظر حتى تفعل وقد لا تخبرني عن زرع المحرم. **يقوم**

زهير: **يقوم لقيامه** أعدك بأنني أخبرك عنه بمجرد استعدادي له ولا أخفي عنك ما تحرم ثمنه راجيا في أن تتريث فيما عزمت عليه، لأنني أراه يحدث هرجا ومرجا في هذه الدار ليس في معارضة عزمك على الابتعاد عنها وإنما يسود لغط في الإفتاء من النسوة وقد يكون في اختلاف الفقهاء ، فلا يستبعد بعدئذ الشك في صحة الإفتاء لكلا الفئتين ولذا أفضل تأجيل قرارك حتى أفعل فتأجل به الهرج والمرج.

أحمد: ما دمت مصرا على رأيك لا تعبأ بالتحريم أستعد منذ غد على البحث عن مسكن وأنتقل إليه.

زهير: ستعارض أمي انتقالك إليه حتى تذكر لها السبب الحقيقي ولن تتأكد منه حتى تسألني عنه جهرا في هذه الدار ولن أخفي عنها مواقفي ولا أبالي إذا اقتنعت مثلك بالإباحة من غير بيع، أو اقتنعت مثلي في ألا ضرر من البيع وتستفيد منه أم أرملة لا قوت لها ولأولادها.

أحمد: بل تقتنع بفتوة تحريم البيع باتفاق الفقهاء.

زهير: ظنا وتخمينا وليس يقينا بدليل اختلافهم في معضلة الأعضاء تحريما مطلقا وإباحة الهبة ومن خلال اختلافهم في الإفتاء أتوقع ظهور فئة ثالثة تبيح بيع الأعضاء من الأموات، وسيكون سندهم انعدام الضرر

وتحقيق الفائدة وبالبيع تكون الكثرة فيها وبتحريمها تصدر القلة فلا تتوفر لطالبها بعد دفن الأجساد كاملة من غير هبة، لأنها تكون في نفوس التكلاء هينة اللهم إلا إذا كان الطالب والمطلوب منه رحمين قريبين.

أحمد: لكن الفقهاء لم يبيحوا البيع وهو الذي يحيرني الآن بعد حججك ولا داعي للمزيد منها فأخشى بعدئذ من أن تجد صدى واسعا في النفوس تزعزع قدوتها بالفقهاء، لاسيما عند أمك فتنضم إلى صفك ولا أستطيع أن أقنعها بالرحيل معي ولذا لن أذكر لها السبب الحقيقي، وإنما أقول لها : دوما لقد أصبحت غير مرتاح في بيت ابنك ولهذا قررت الابتعاد عنه راحة لبالي.

زهير: ولن تقتنع بحجتك فتعدها هينة ثم يحدث خلاف بينك وبينها فترفض طلبك منها حتى تذكر لها السبب المقنع عندك.

أحمد: لكنني أخشى منها أن تقتنع بأرائك ثم تحاججني بها بعد أن تشك مثلك في إفتاء الفقهاء ما دام الخلاف موجودا بينهم في الرأي، ولذا لن أذكر لها دافعي الواضح وإنما أقول لها : أصبحت حيران في بيت ابني ولا انصراف لحيرتي، إلا بالابتعاد عنه وإني أطلب منك طلب البر بوالدك في أن تكتم الحقيقة عنها وإني

أعلم أن طلبي منك يكون ثقيلا على نفسك.

زهير: أعدك بأنني استجبت لطلبك مني توا وسيكون هينا على نفسي بلجوئي إلى الحياد بينكما فاستعد وحدك مع أمي على إقناعها بطلبك منها ولعل لا يكون في إمكانك التوفيق فيه.

أحمد: بل أوفق فيه بعد انتظار أربعين يوما الاستجابة منها وإن لم تستجب لي حسب ظنك أخيرها بين تلبية طلبي منها أو الرحيل بدونها فلا تجد مفرا من الإذعان لي، لاسيما إذا تدخل حكم من أهلها بيننا وخلاصة القول لا رجوع مني ما لم تتراجع.

زهير: ولا رجوع مني عن اقتناعي ولم أكن أهزل ولا يليق بي بصفتي رجل العلم.

أحمد: لقد بدا لي بوضوح أن الاستمرار في مناقشتك بلا نتيجة فانهيها بالسكوت معك عسى أن تأتي الأيام القادمة بالفرج لي ولك، من غير غضب مني عليك حتى يحل الفرج علينا جميعا وخلاصة القول تصبح على خير.

يختفي من الباب الثالث فيجلس زهير تخفت الأضواء ثم يحل ظلام على المسرح وزهير فيه ثم تضاء الأضواء على المشهد الثاني.

المشهد الثاني

في البهو عينه بعد أيام تكون فيه فاطمة جالسة على أريكة يائسة – فترة– تقبل رحمة من باب المطبخ

رحمة: يا سيدة فاطمة لقد بدا عليك اليأس اليوم كثيرا وما أظنه إلا من ورطتك مع زوجك ومازلت لم تقنعيه بالعدول عما يطالبك به.

فاطمة: لم أجد طريقا أسلكه بعدما تحقق ما توقعناه منه عقب قطع هبته عن بناته استعدادا للرحيل عن بيت ابني ولا حجة منطقية له غير لغو صبيان.

رحمة: حاولي معالجة الأمور معه بهدوء ولا داعي للغضب واليأس منك.

فاطمة: كيف لا أغضب ولا أيأس وهو ما برح منتظرا موافقتي في مغادرة بيت ابني معه إلى بيت صغير بغرفتين ويراه مريحا لباله أهذا كلام؟ معقول تصدقينه.

رحمة: لا فرق بين البيت الكبير والصغير في تحقيق راحة البال لكن إذا كان الإنسان في ربيع عمره يعتمد على نفسه وليس شيخا هرما مثل زوجك، يكون في أشد الحاجة إلى صغار السن كلما مرض مرضا خفيفا مثل

الزكام على سبيل المثال فما بالك بالأمراض المزمنة.

فاطمة: أجل كلامك صواب ولذا يفضل بل يرغب كبار السن في الإقامة مع أولادهم بالرغم من نفور الكنة من الأبوين رغبة في الانفراد بالبيت دونهما، وإن كان واسعا مثل هذا وإنني لا أظن أن سميرة قد أظهرت هذه الرغبة واستوحاها الحاج من سلوكها فدفعه إلى قرار الابتعاد عنها، إني إلى حد الآن أشهد لها بحسن السيرة معه ومعي خلا موقف الحياد في مشكلتي معه.

رحمة: ربما يكون موقفها صائبا يساهم في هدوء البيت أو هو اختيار حتمي لها لكي لا تغضب أحدا عليها بالانحياز.

فاطمة: بعيدا عن سميرة وحيادها غير أنني بحاجة إلى إعانة من أي أحد تمكنني من إقناع الحاج بعدوله عن طلبه مني الذي ما برحت رافضته رفضا مطلقا، حتى خيرني بين مرافقته إلى البيت الذي إكتراه أو ينتقل إليه وحده وأظل مع ابني فوجدت نفسي في طريق مسدود فهل لك؟ إعانة لي برأي أقتدي به لأجد منفذا إلى بر الأمان.

رحمة: بالنظر إلى كبر سنه وسنك لا يكون انعزالكما عن بيت ابنكما مفيدا له يريح باله.

فاطمة: إن كبر سنه وسني هي دوما حجتي في رفض مطلبه

مني قولي لي يا رحمة ما أفعل؟ إذا أصاب أحدنا مرض غير الاستعانة بالصغار بدءا من زيارة المستشفى فشراء الدواء.

رحمة: إني أعاني مما ضربته لي مثلا كلما أصابت زوجي وعكة زكام تلزمه الفراش لأنه في العقد السابع ولو كنت في عمرك وليس في عقدي الخامس والنصف لاستعنت بأولادي.

فاطمة: أجل ولو لم أكن أكثر منك بعقد لاستجبت له ولا أتركه يرحل وحده عازمة على صغر سني مثلك لكن بكبر سننا معا. يكون الافتراق عن الابن اختيارا أخرق فرفضته له ولا أظن أنني أثبت على الرفض حتى يفارقني وحده إلى تلك الدار.

رحمة: إني أرى مثلك حجة كبر سنه وسنك هي دوما ملجأك في مناقشته ولا ينكر كبر سنه لكن ربما يدعي لك بأنه في صحة جيدة تمكنه من الإقامة بعيدا عن ابنه، فاطلبي منه البرهنة على إدعائه بشهادة طبيب ولا حرج في أن يسر ابنك إلى الطبيب بأن يؤكد له صحته خلا من قلق \أظهرته التحاليل الطبية فيه يوجب التخلص منه بالهدوء والعناية بين الأهل.

فاطمة: أجل لقد أصبح قلقا وليس هذا طبعه وإني أخشى من

أن يكون قد أصيب بالضغط الدموي وهو سبب عصبيته.

رحمة: ربما تكون عصبيته ظرفية فقط عندما يجادلك ولم يصب بعد بالضغط الدموي لكن كبار السن لا تؤمن عافيتهم الظاهرة حتى تؤكدها التحاليل الطبية فاطلبيها منه.

فاطمة: وإني أتوقع منه ثبوت قلقه بالتحاليل الطبية فيأمره الطبيب بأن يلجأ إلى الهدوء ويصف له مهدئات للأعصاب فاتخذ منه حجة ثانية في ألا يستمر في قصده مني إلى شهور، التزاما بأمر الطبيب ولعل المدة تكون كافية في مراجعة نفسه فيدرك بعدئذ صواب الرأي في أن راحة البال لكبار السن تكون قرب صغار السن لاسيما الأبناء البررة.

رحمة: ها هو ابنك واحد منهم وهو ضالتك يريح بالك مما تتوجسينه في زوجك يعرضه على التحاليل الطبية ليتأكد من أن قلقه غير ناتج من الضغط الدموي، وكلي يقينا بأن الاهتمام بصحته تعيد إليه راحة البال التي يدعي بأنه فقدها قرب ابنه البر به وبك.

فاطمة: **تقوم وتنادي** سميرة.... سميرة **تظهر** تعالي أخبرك عما استجد من الأحداث لورطتي دلتني عليها رحمة لقد

نصحتني بأن نطلب من الحاج إثبات صحته بتحاليل طبية لتؤكد لنا صحته التامة تمكنه من الإقامة بعيدا عن بيت ابنه وهنالك يكون مطلبه مني معقولا نوعا ما، لكن إذا أثبتت بأنه غير قادر اتخذ عجزه حجة ثانية لي بالإضافة إلى كبر سنه في استمرار رفض مطلبه مني، ويؤيدني الجميع مسفهين رأيه وهنالك أكون مرتاحة البال إذا اخترت عدم الذهاب معه وتركته يرحل وحده، وقد يتراجع عن قراره إذا كان قلقه ناتجا من الضغط الدموي.

سميرة: حسب ملاحظتي لعم الحاج لا أعتقد بأنه مصاب بالضغط الدموي (لا قدر الله) لكن التحاليل الطبية مهمة لكبار السن وتريح بالهم فادفعيه إليها.

فاطمة: إذن تريدينني في أن نطلبها منه.

ميرة: تأييدا تاما لكن أود منك أن تتخذي زهير واسطة الطلب منه لكونه له طريقة طلب التحاليل من أبيه غير طريقتك كأن يقول له يا أبتي إن كبار السن يقومون بتحاليل طبية قبل ظهور علة فيهم نظرا لسهولة علاجها إذا دلت التحاليل عليها لا يشعر بها كبير السن أما إذا شعر بها تصبح علته صعبة العلاج بظرف كبر السن.

فاطمة: وإني أعتقد جازمة بأن عصبيته وهزله ناتجان من علة لا يشعر بها الآن لقد كان يتسم بالهدوء والسمن.

سميرة: قد يكون هزله ناتجا من كبر السن وهو صفة يتسم بها كبار السن أما عصبيته فهي ظرفية وبكل الأحوال أذكري ملاحظتك لزهير فيشخصها لك حالا.

فاطمة: قد تكون عصبيته ظرفية لكن هزله مشكوك فيه لأنه مستحدث منذ ثلاثة شهور أو تزيد فجلب انتباهي له، سأذكر ظاهرته المستحدثة لزهير بمجرد عودته إلى البيت اليوم ولن أتركها مبهمة عندي.

رحمة: نعم الرأي منك يا سيدة فاطمة ولا داعي لأن تحتملي شيئا شائنا فيه من ملاحظتك له لأن الطب ليس من اختصاصك وإنما من اختصاص زهير وهو على بعد خطوة منك.

فاطمة: مهما يكن سبب هزله وعصبيته بتشخيص زهير النظري العابر فلابد له من تحاليل طبية في المستشفى يلتزم بها. فإذا جاءت إيجابية فهنالك أقرر الذهاب معه وإنه لا يعقل أن أتركه يذهب وحده فتكون له حجة في إعادة زواجه أكون السبب فيها.

سميرة: حسب رأيي لا يقرر الذهاب وحده وإنما ينتظر حتى

تستجيبي له ويستعين بأقاربك فلا تجدي مفرا من الاستجابة له.

فاطمة: أجل هذا ما أتوقعه ولذا أصبحت عازمة على التخلي عن الرفض لكيْ أبعده عن احتمال إعادة زواجه أو حث أقاربي لي على تلبية طلبه مني، لكن يحصل هذا بعد التحاليل الطبية الإيجابية.

رحمة: ثقي يا سيدة فاطمة بأن أي إنسان عاقل يدري بعمر زوجك لا يوافقه على الابتعاد عن بيت ابنه بعد ثبوت صحته التامة بالطب لأنه يزحف نحو عجز الشيخوخة.

فاطمة: أجل ومن خلال استدلالك المنطقي أجزم بأن زوجي متأثر بابن عمه عثمان راغب في أن يكون مثله بدليل إعجابه به في إقامته بعيدا عن أولاده، وقد ضرب لي المثال به كلما استخففت رأيه في ادعاء راحة البال بعيدا عن بيت ابنه.

سميرة: أتمنى ألا يتحقق ما يرغب فيه لكي لا تزداد الظنون السيئة في.

فاطمة: أجل ولا مفر لها فيك.

سميرة: وهنالك أقول حسبي الله ونعم الوكيل.

فاطمة: وأي سبيل أسلكه يبطل ظن السوء فيك.

رحمة: إني أرى دوما الاهتمام بصحته تريح باله.

فاطمة: أعدك بأنني أسلك معه نصيحتك عسى أن يريح باله اهتمامنا بصحته وليس التمثل بابن عمه عثمان.

سميرة: أتمنى لك التوفيق فيحدث الانفراج للجميع وخلاصة القول افعلي تصلي **تذهب**.

فاطمة: لقد أحدث قرار الحاج ظن السوء فشكت بناته الثلاثة في أن سميرة هي السبب في قراره ويستدللن فيه بإعجابه بابن عمه عثمان وهو هين في نظري فهل لك رأي راجح في سبب قراره غير ما يدعيه.

رحمة: لا أرجح شيئا غير أن قرار الحاج بعد التمهيد له بقطع الهبة عن بناته لم يكن نزوة ارتجلها فجأة وإنما يعود إلى سبب يتكئ عليه.

فاطمة: إني قلبت الأمور فلم أرجح في سبب القرار غير القيل والقال وهو هين في نفسي.

رحمة: لكن عثمان جعله ذا أهمية بعدما أصبح بيت ابنك واجهة تثير القيل والقال وقصده من أكابر الناس.

فاطمة: تقصدين أن زوجي قد أصبح محرجا من إقامته في

الواجهة ولذا فضل الابتعاد عنها لكن إحراجه هين في نفسي بالنظر إلى بر ابنه به، إني لا أنكر أن بعض الأبناء الأغنياء قد ابعدوا آباءهم إلى مساكن بعيدا عن بيوتهم الفخمة وفئة قد زجت بآبائها في دار العجزة، وهذا يعود إلى قدر مكانة الأبوين في نفس الابن فإذا كانت عالية فلن يفعلوا.

رحمة: إذن اطلعي على قدر هذه المكانة في نفس ابنك ولا يكون حسب رأيي إلا بحثه على عرض التحاليل الطبية على أبيه وسيستجاب له لكونه طبيبا.

فاطمة: حقا وهي التي تقرر مصيري ومصيره مع ابننا بعدما نتأكد من أن رغبة ابننا في إقامتنا معه لا غبار عليها.

رحمة: أو كنت ؟ تشكين فيها.

فاطمة: لم أشك فيها غير أن موقف حياده في معضلتي مع أبيه لم يعجبني.

رحمة: لكن حياده موقف حكيم لم يغضب به أحدكما عليه.

فاطمة: بل موقف لامبالاة وعدم اكتراثه بالمعضلة كأنها لا تعنيه بالرغم من أنها تحدث بين أبويه في بيته.

أحمد: **يدخل من الباب الخارجي** السلام عليكم.

رحمة : وعليك السلام وبركاته **تذهب.**

فاطمة: يا الحاج لقد أصبحت شغلي الشاغل حتى اهتمت بي رحمة فتحدثنا في موضوع قرارك وقد بدا لها غريبا نظرا لكبر سنك.

أحمد: لا تتخذي كبر سني حجة لك ترفضين بها قراري ومهما تكن بالغة الأهمية عندك فلن تأثر في وإني منتظر موافقتك لي أو عدمها إلى أجل مسمى، وإنك مخيرة بين تلبية طلبي منك أو البقاء مع ابنك بعدما أظهرت لي الرفض القاطع ظانة بأنك توهنينني في رغبة الرحيل إلى تلك الدار لكن لابد منها ولا ألزمك بالرغبة فيها ها أنا ألجأ معك إلى اللين إلى آخر لحظة.

فاطمة: إني أسألك أتكون ؟ قادرا على مواجهة مصيرك بدوني إذا اخترت البقاء مع ابني أم تجده صعبا عليك وحيدا فيها.

أحمد: لا يهمك مصيري، في تلك الدار وحيدا فيها.

فاطمة: أراك تستسهله لأنك تظن أن إعادة زواجك يزهدك في هذه الدار.

أحمد: لن أعيد الزواج وأنا شيخ هرم لأنني سأتأقلم على العيش فيها وحدي.

فاطمة: كلامك هذا أخرق فإن كنت ترى غير هذا أثبت لي بتحاليل طبية في أنك قادر على العيش فيها وحدك، من غير معين حتى سن السبعين عن بعد سنتين من الآن دون حساب تجاوزها بسنين عديدة إلى عجز الشيخوخة.

أحمد: إني إلى حد الآن أشعر بصحة جيدة لكن في المستقبل لا أحد يضمن عافيته.

فاطمة: من جهة المستقبل أعلم علم اليقين أنك تزحف نحو عجز الشيخوخة ولابد لك من معين لكن الصحة التي تدعيها الآن، غير متأكدة منها حتى تثبتها لي بتحاليلك طبية فهنالك أسلم بها معك وقد تدفعني إلى تلبية طلبك مني.

أحمد: لا داعي للتحاليل الطبية لي ما دمت موفور الصحة يدل عليها سري على القدمين إلى حيث أشاء بغير وهن.

فاطمة: لكنك تجهل ما إذ يكون مرض من أمراض الشيخوخة قد بدأ يسري في جسدك وأنت لا تشعر به.

أحمد: وأنت كذلك غير آمنة منه وسنك قريب من سني.

فاطمة: إني أعلم أنني كبيرة السن مثلك ولا أستبعد سريان مرض

الكبر في ولم أعزم على التحاليل الطبية لأنني مازلت قرب ابني زهير وهو طبيب وسميرة ولم أهزل مثلك، وهو ظاهرة طارئة فيك تدفعني إلى أن أحثك على التحاليل الطبية لك وحدك ليرتاح بالي من صحتك.

أحمد: أعلم أنني هزلت لكن سببه يعود إلى عدم شعوري براحة البال هنا منذ شهور وليس إلى علة لا أشهر بها الآن، إنك بدأت تختلقين العراقيل لتتخذي منها حجة إضافية إلى كبر السن ظانة بأنها تعرقلني.

فاطمة: إني خاطبتك بما لاحظته فيك منذ ثلاثة شهور وإذا كنت تظن أن هزلك يعود إلى عدم راحة بالك فأثبته لي طبيا، وهنالك أسلم به على يقين وليس على تخمين مثلك وإليك رأيي الأخير، لا أطيل المناقشة معك بعدما توصلت إلى قراري الأحسن وهو قيامك بالتحاليل الطبية وليس إدعاء صحتك وهما، فإذا قمت بها وأثبتت صحتك ألبي طلبك مني وإن لم تقم بها فأجزم بأنك تغادر هذه الدار وحدك إلى تلك الدار عندما يحين أجل انتقالك إليها فكر في هذا الشرط الوحيد مني **تستعد على الذهاب تبتعد عنه.**

أحمد: نظرا لموقف اللين الذي لجأت إليه معك بعدما أظهرت لي الرفض القاطع في مرافقتي ربما أستعد بعد أسبوع

على التحاليل، غير أنني أخشى منك عدم الوفاء بوعدك لي بأمر هين من نتائج التحاليل لا يعد عرضا من مرض وإنما يكون من عدم راحة البال وقد أعلنتها عدة مرات وهي سبب هزلي.

فاطمة: **تقترب منه** ثق بأنني أفيء لك بوعدي إذا أثبتت التحاليل صحتك التامة خلا هزلك إذا كان سببه من عدم راحة البال وليس من علة ولك أن تتخذ لي شهودا.

أحمد: سأفكر في الأمر لأيام وبعدئذ أقرر.

فاطمة: وما يمنعك ؟ من القرار توا وبكل الأحوال تعد التحاليل نافعة لك تريح بالك **يدخل زهير من الباب الخارجي** ها هو زهير فلنجعله حكما وشاهدا زهير إني وعدت أباك بأن ألبي طلبه مني لكن بعد أن يقوم بتحاليل طبية تثبت فيه صحته التامة وقدرته على الانفراد ببيت مستقلا عن هذا.

زهير: لقد أعلنت لكما رأيي منذ بدأت المجادلة بينكما وهو أنني ألتزم بالحياد المطلق في الخلاف بينكما ها أنا أعيده عليكما مواجهة الآن بعد عدة مرات مضت.

فاطمة: زهير إن موقف حيادك الذي اتخذته إزاء الأزمة بيننا غير موفق لأنه لم يساهم في حلها.

زهير: لقد كان حتما مقضيا علي بأن ألجأ إلى الحياد معكما لأنكما على طرفي نقيض في شيء جوهري.

فاطمة: قد يكون موقفك سالما لأنك لم تجد الخيار فيه لأن أبويك على خلاف بينهما في قضية جوهرية، لكن الآن تغيرت القضية فأصبح الخلاف بسيطا بيننا في تلبية طلبي منه وهو القيام بتحاليل طبية فهل توافق عليها.

زهير: أوافق عليها إذا أرادها من صميم قلبه وألح عليها وليس تلبية لطلبك منه لا غير.

فاطمة: أراك تستخف بالأمر وأنت لا تدري إذ ما يكون هزل أبيك بعد سمنه المتسم به ناتجا من علة لا يشعر بها أم لا.

زهير: ليس كل من يهزل يدل على أنه عليل.

فاطمة: وبما تفسر ؟ هزل أبيك وأظن أنك لا تنكره.

زهير: لا أنكره وهو ظاهر للعيان لكنه قد يكون من عدم راحة البال وقد أعلنها صراحة عدة مرات.

أحمد: هكذا قلت لأمك لكنها تلح على أن هزلي ناتج من علة لا أشعر بها الآن.

فاطمة: لا تشعر بشيء سيء فيك لكن شعورك غير مؤكد لنا علميا.

زهير: أماه إننا نقترح التحاليل الطبية لمن يشعر بعلة لم ينفعه فيها العلاج الأول أو الثاني كذلك لأن علته قد تكون مبهمة، لم يتمكن التشخيص المجرد من معرفتها فتكون التحاليل الطبية ضرورية له بينما أبي لا يشعر بعلة على الإطلاق ولا ضرورة لما تطالبينه به.

فاطمة: ظننت أنك تنضم إلى صفي فيما أطالب به أباك وهو نافع له فإذا بك تنضم إلى صفه وتتخلى عن موقف حيادك المألوف عندنا.

زهير: فيما مضى كان موقف حيادي معكما موقفا حكيما لكي لا أغضب أحدكما علي،بينما الآن قد تغيرت القضية بينكما فأصبحت تطلب رأي الطب فيها فأدليت بمعرفتي فيها.

فاطمة: وهزل أبيك هل هو؟ عاد حسب رأيك فيه.

زهير: قد يعود بصفة عامة إلى عدم راحة البال وقد أعلنها صراحة فيقل نومه ويصبح متقطعا أثناء الليل وتقل شهيته للطعام فيصبح يأكل قليلا وأمور فيزيولوجية تهزله.

فاطمة: بل أصبح يأكل كثيرا أكثر مما كان عليه سابقا منذ ثلاثة شهور أو تزيد ولم أجد تفسيرا في ازدياد أكله وهو يهزل.

زهير: هل أنت؟ متأكدة مما تقولين وليس هو ادعاء عشوائي عابر منك.

فاطمة: إن لم تصدقني؟ وكان أولى بك ألا تشك في أمك فاسأل أباك عن صحة ادعائي لتتأكد منه مواجهة.

زهير: هل صحيح يا أبتاه ما تدعيه أمي فيك.

أحمد: صحيح ما تدعيه لكنه لا يدل على علة في وإنما يدل على رغبتي في الأكل أكثر مما كنت قبل شهور ولا يدل الأكل الكثير إلا على الصحة التامة التي تطالبني بالبرهنة عليها ها هي تتحقق لك توا إذن لا داعي للتحاليل.

فاطمة: وكيف تبرهن؟ على هزلك بكثرة الأكل فيك أكثر مما كنت وأنت سمين.

أحمد: بعدم راحة البال فزيولوجيا.

فاطمة: هل لرأيه ؟ تفسير بأمور فيزيولوجية.

زهير: قبل أن تفسر ظاهرته فيزيولوجيا أسأله سؤالا واحدا فقط لأنه يصبح كافيا للاحتمال مع الهزل وكثرة الأكل وهو هل ازداد شربك للماء؟

فاطمة: لقد أصبح يشرب كثيرا فجلب انتباهي له حتى سألته

عن ظاهرته الطارئة فيقول لي : شعرت بالعطش فشربت.

زهير: يا أبتاه لقد تغير موقفي فيك بعدما علمت أنك ازددت أكلا وشربا مع هزلك وهذا غير طبيعي في الطب لظاهرتك.

أحمد: وما تظن فيها ؟

زهير: لا أقضي بشيء الآن بالرغم من أن تشخيصي العابر لظاهرتك يدل على علة تؤكدها التحاليل الطبية لك توا بغير تردد مني ومنك.

أحمد: وهل يدل؟ ما شخصته عابرا على علة.

زهير: لو لم أدر بأنها علة لما أردت لك تحاليل طبية توا غير متردد فيها.

أحمد: وما هي ؟ هذه العلة.

زهير: في إمكاني أن أخبرك عنها لكنني أردت أن أتيقن منها بالتحاليل حالا.

فاطمة: هيا يا حاج استعد على مرافقة ابنك إن هزلك لم يكن طبيعي حسب حدسي فيه.

زهير: أماه لا تضخمي أمره في نفسك ولا داعي للجزع هيا يا

أبتاه حالا ومن حسن حظي لا يوجد لي موعد مع أي أحد.

أحمد: ألا يمكن؟ أن نؤجل الزيارة إلى الغد إني لا أشعر بألم من علة شخصتها في.

زهير: بل حالا ولا يمكن التأجيل إلى الغد لا سيما عدم وجود موعد لي.

فاطمة: هل؟ أرافقكما إلى المستشفى.

زهير: لا داعي لذلك وإني أفضل منك ألا تطلعي بناتك على الأحداث الطارئة حتى تظهر نتائج التحاليل الضرورية لأبي.

أحمد: لقد تبين لي بوضوح أن كلامك صادر من صميم قلبك لظاهرتي التي شخصتها عابرا وليس تلبية لأمك في التأكد من صحتي التامة ونظرا لجدك ألبي مطلبك مني هيا إني على استعداد للخروج معك.

يسير زهير مع أبيه يختفيان عن نظر فاطمة ثم تقرر الذهاب من باب المطبخ وهي ذاهبة يبدأ نزول الستار على الفصل الثالث والأضواء مضاءة لا يحجب ضياؤها إلا الستار النازل بعد اختفاء فاطمة.

. ستار .

الفصل الرابع

المنظر

البهو عينه بعد أسبوع على الفصل الثالث بغير تغيير نرى فيه فاطمة وزينب وسميرة وزهير وهم واقفون . فترة .

المشهد الأول

فاطمة: زينب لا داعي لزيارة أبيك يوميا لأن أخاك ما برح مؤكدا لي بأن مرض السكري من النوع الثاني هين لا يدفع إلى القلق وإن قسطا لا يستهان به من كبار السن مصاب به غير أنه لا يكاد يذكر لسهولة المرض عليهم.

زهير: قللي من اهتمامك بمرض أبي لأنه من النوع الثاني لا يدفع إلى الانشغال به كثيرا لكونه سهلا بحمية الأكل وقرص الدواء وقياس نسبة السكر في الدم تجعل المصاب به في أمان كأنه غير مريض به، وفي استطاعته ممارسة عمله بانتظام إذا كان يعمل فما بالك بأبي المتقاعد.

زينب: إني لم أجزع من مرضه بالرغم من أنه مزمن ما دام له دواء مثل مرض الضغط الدموي كذلك.

زهير: إن مرض السكري من النوع الثاني أقل خطرا من مرض الضغط الدموي.

فاطمة: ثقي فيما أعلنه لنا أخوك وأبعدي الأقوال التي تسمعينها من الناس غير الأطباء.

زينب: في إمكاني إهمال مرضه لكونه له دواء أولا وقربه من زهير في بيته يلاحظ عليه تطور مرضه ثم يرشده إلى الأحسن، لكن ما أخشاه هو عندما يبتعد أبي عن هذه الدار إلى تلك الدار ما دام لم يعلن لنا إلغاء قراره.

فاطمة: وهل ؟ مازال قراره يشغلنا بعدما أصيب بمرضه.

زينب: إني تطرقت معه في خلوة به إلى هذا الموضوع فأجابني قائلا: ليس الآن أجيبك عن غرضك مني وإنما في الأيام القادمة.

فاطمة: وفي تلك الأيام القادمة يعلن لنا قرار إلغاء الرحيل نهائيا لأن راحة باله تكون هنا وليست هناك أليس؟ هذا صحيحا يا زهير.

زهير: لا أقضي بشيء لأن الأمر خارج عن نطاق معرفتي بنفسه الآن بينما سابقا قبل علمه بمرضه قد كنت متأكدا من عدم رجوعه عن قراره ولا أمل لي في رجوعه عنه.

فاطمة: بناء على لغو كان يؤمن به وهو شعوره براحة البال بعيدا عن هذه الدار.

زينب: ليس ما كان يؤمن به سابقا هو اهتمامنا وإنما ما يكون يؤمن به الآن بعدما تغير حاله إلى المرض.

سميرة: إني أرى ألا نتطرق إلى هذا الموضوع وإنما نهمله حتى يذكره عم الحاج ولعل الأيام القادمة تؤكد لنا لغونا حالما نعلم علم اليقين أن ما شغلنا تتوسي إلى الأبذ.

زهير: أتمنى أن يتحقق ما ترغبن فيه.

فاطمة: أوالا ترغب مثلنا ؟ في أن يلغي أبوك قراره.

زهير: أرغب مثلكن لكنني أخشى من أن يخيب أبي رغبتنا منه.

فاطمة: سنفعل معه جهد طاقتنا حتى يحقق لنا رغبتنا منه.

زهير : لكن ذلك مني بكل ارتياح غير أنني ألتزم معكم بالحياد دوملمثلما كنت سابقا.

فاطمة: ليس موقف حيادك معنا موقفا حكيما بعدما علمت بمرضه عليك بالانحياز فيه إلى أمك والمعارضين قراره.

زهير: أفعلي معه ما شئت فلن يؤثر في ولو تقرري البقاء هنا وتتركيه يذهب وحده إذ لا يزال على موقفه السابق هذا هو موقف حيادي ليمكنني من الاهتمام بشغلي أنطق إليه حالا سلاما. **يذهب من الباب الثالث**

فاطمة: ها هو زهير ينسل ثانية من مشكلتنا مع أبيه كأن

الأمر هين عنده.

سميرة: يا خالة إني أرى ألا نهتم بهذا الموضوع وإنما نهمله رجاء في أنه أهمل.

فاطمة: لقد تطرقت زينب معه إلى قراره فلم يجبها عن غرضها منه وإنما ترك الأمور مبهمة وإني أخشى من أن يحيي مطلبه مني بعدما يألف مرضه متخذه هينا مثلما أكد لنا زهير لا يمنعه من مغادرة هذه الدار.

سميرة: مهما يكن رأيه الآن فيه فلا نشغل بالنا بشيء غير متأكدات منه.

زينب: وإذا تأكدنا منه لاحقا فما العمل ؟ هنا موضوع حديثنا.

فاطمة: من جهتي الرفض القاطع له ولا أبالي وحجتي كبر سنه بالإضافة إلى مرضه.

زينب: ليس هذا موقفا حكيما منك يا أماه وإنما نبحث عن سبب منطقي يقتنع به أبي فيلغي قراره على اقتناع منه إذ ما يكون في نيته الآن الوفاء به.

فاطمة: وإني أرى السبب المنطقي الوحيد هو مرضه وكبر سنه وإنه لمن التعقل ألا يلقي بنفسه إلى التهلكة.

زينب: هذا صحيح ومنطقي عسى أن يقتنع به أبي لاسيما إذا ما ذكرنا له الآية الكريمة الناهية التي تقول :" ولا تلقوا

بأيديكم إلى التهلكة".

فاطمة: فلنقدمها على أساس الحجة المقنعة التي لا مفر له من التسليم بها فيقتنع ثم يطبق رغبتنا منه.

زينب: إني غير متأكدة من اقتناعه بها كذلك لكن إذا قيلت له من فقيه على أساس فتوة يفتي بها تحريم مغادرة أبي لهذه الدار يقتنع بها ثم يطبقها.

فاطمة: لو لم أدر بأن أي فقيه يستخف بحجتي على أساس أنها حجة يفتي بها لأبيك تحريم مغادرته لهذه الدار لأنها صدرت مني ولم تصدر من اجتهاده، لبحثت عن فقيه منهم ليذكر له على لسانه الفتوة محتجا بحجتي القرآنية فيقتنع أبوك بإفتائه.

سميرة: إني أرى دوما ألا نظل نخمن " والخبر اليقين عند جهين" فلننتظره حتى يتحقق وبعدئذ نتخذ له موقفا صائبا.

فاطمة: وإن الموقف الصائب مع زوجي هو محاججته بالآية القرآنية الآنفة الذكر ولئن لم يقتنع بها منا ندله على فقيه يكبره في نفسه، فلا يخالفنا في الرأي بفتوة منه في سياق رغبتنا تحرم مغادرة الحاج لهذه الدار بالإفتاء.

زينب: أماه إني بدأت أقتنع برأي سميرة وهو الانتظار حتى نكون على يقين وإلى ذلك الوقت لا أنشغل بأبي يدل

عليه انصرافي عنكما حالا سلاما. **تخرج من الباب الخارجي.**

فاطمة: سميرة لقد عاد إلى نفسي الاهتمام بأمر الحاج عندما بعثته في نفسي زينب بعدم تأكدها من إلغاء قراره حالما سألته عنه ولم يجبها عن غرضها منه.

سميرة: لقد أعلنت رأيي ولازلت مقتنعة به لكن إذا انشغل بالك بقرار عم الحاج بعدما لم يجب زينب عن غرضها منه أدلك على زهير ليتعرف عليه بطريقة غير مباشرة كأن يقول له: يا أبتي إن قياس نسبة السكر لدى مريض السكري تتطلب مدة طويلة وكلما طالت تكون أحسن له فهل توافق عليها مني لشهور عديدة.

فاطمة: بكل تأكيد سيوافق عليها ومهما يكن صابرا على مرضه فسوف يذعن لإرشادات الطبيب ولن يتهاون أقل لحظة لأن غريزة البقاء تدفعه إلى الإذعان وهي هاجس في نفس المتدين والمعربد سواء بسواء.

سميرة: إذن يأمره بإيقاف الكراء لكي لا يكون الاستمرار فيه تبذيرا بالمال وبأي احتمالين منه سيكون له جواب، فإذا قال له أوقفه إلى أجل مسمى يدري بأن أباه مازال مصرا على قرار الرحيل أما إذا كان جوابه من غير ذكر الأجل المسمى، يستنتج أن أباه على وشك

التخلي عنه وأن راحة باله تكون قرب الطب.

فاطمة: حقا حقا وإني متأكدة حسب معرفتي بمكنون نفس الحاج أنه لم تبلغ به السفاهة إلى درجة التهاون في ذاته ولذا أكون بعد هذه المناقشة المفيدة لي مرتاحة البال ، لأنني أصبحت أرجح في نفسي إلغاء قراره لم يسر به لابنته زينب نظرا لقصر المدة بين إصراره عليه وسؤال ابنته عنه ، لكن بعدما تتمدد المدة يعلن إلغاءه لا محالة ولئن يجده ثقيلا على نفسه فسوف تشجعه غريزة البقاء على ذكره، أشكرك جزيل الشكر ولا داعي لأن أدفع زهير إلى معرفة قرار أبيه لأن الأمور واضحة لنا وهي الإلغاء بلا إغواء. **يدخل الحاج أحمد من الباب الخارجي.**

أحمد: السلام عليكم.

سميرة: كيف أنت يا عم ومن حسن حظك أنك عدت بعد أداء صلاة العصر من غير إبطاء وزهير لا زال لم يخرج.

أحمد: وما قصدت العودة حالا بعد الصلاة مع الجماعة إلا رغبة في أن أسأل زهير مزيدا عن مرض السكري.

سميرة: إنه هنا ولك أن تسأله قدر جهدك أناديه لك حالا **تذهب من الباب الثالث** .

فاطمة: يا الحاج إني أصبحت لا أتهاون أدنى لحظة في الاهتمام بك ولعل هذا الاهتمام بك يمنحك راحة البال التي أحرص عليها لك أكثر من حرصك عليها، **يظهر زهير** ، وها هو زهير لن يقصر في اهتمامه بك **يصل قريبهما.**

أحمد: إذا كنت حريصة على راحة بالي دعيني على انفراد بزهير لأنني مازلت مضطرا إلى المعرفة الكافية عن مرض السكري، وإني أود منه أن يتقبل أسئلتي عنه بانشراح الصدر ولا يعدني فضوليا عنه. **تذهب فاطمة.**

زهير: لك أن تسأل ما شئت فيأتيك الجواب حالا.

أحمد: لم أكن أدري بأن مرض السكري خبيث إلى الدرجة التي أطلعتني عليها في إرشاداتك لي.

زهير: وبالرغم من أنه خبيث حسب تعبيرك عنه إلا أن الطب قد تمكن من التغلب عليه.

أحمد: أعلم هذا لكن ما يحيرني منه هو أن المريض به يتخذه عدوا له على الدوام لا يمكن التغافل عنه، لأنه يكون حريصا في ألا ترتفع نسبة السكر في دمه كثيرا ولا تقل حسب حاجة الجسم إليها كذلك أو ليس هذا ؟ كلامك لي سابقا.

زهير: أجل عليه بالمحافظة على نسبة السكر في دمه معتدلة وتكون بحمية الغذاء والأقراص التي تساعد البنكرياس على الاستمرار في إفراز الأنسولين، وتساهم في خفض نسبة السكر في الدم وقياس نسبته من حين لآخر فإذا التزم مريضه بطرقه يتغلب على عدوه حسب تعبيرك.

أحمد: لقد قلت لي سابقا إنه لا يمكن أن نوجه لهذا العدو ضربة قاضية لا يقوم بعدها بأن نضاعف من الأقراص المساعدة على إفراز الأنسولين كثيرا حتى تنخفض نسبة السكر في الدم إلى درجة أدنى من النسبة المطلوبة في الجسم.

زهير: نعم لأن انخفاض نسبة السكر في الدم يسبب الإغماء وكذلك ارتفاع نسبتها.

أحمد: لا أكون مخطئا إذا اقترحت عليكم أنتم الأطباء بأن تتخذوا له مصطلح المرض الخبيث اسما معرفا به مرض السكري.

زهير: كان فيما مضى يليق به اصطلاحك لأنه لم يكن يعرف المريض به وكان مآله الموت حتما وكان يعرف المرض بمرض العطش، لكن الآن تغلب عليه الطب وله دواء متوفر ومريضه في أمان به مدى الحياة يجعلنا لا نجزع

منه بل نتخذه سهلا لاسيما من النوع الثاني.

أحمد: لقد أكدت لي هذا مرارا ونظرا لتقليل شأنه عندك أحاول ألا أجعله شغلي الشاغل وأكف عن أسئلتي لك عنه.

زهير: أجل هكذا تسلك خلال حياتك لكن إرشادات طبيب السكري تطبق بحذافيرها.

أحمد: ثق بأنني حفظتها عن ظهر قلب وألتزم بتطبيقها حرفا حرفا ولك أن تلاحظها مني مدى حياتي. **يدخل عثمان من الباب الخارجي.**

عثمان: السلام عليكم.

أحمد: وعليك السلام وبركاته.

زهير: أهلا وسهلا عم عثمان كيف أنت الآن ؟

عثمان: بخير ولا شيء يشغل بالي غير انشغاله بحالة الحاج أحمد.

أحمد: لا تنشغل بي وما حدث لي قضاء وقدر وإن زهير ما برح مؤكدا لي خفته لا يدفع الأهل إلى القلق علي.

زهير: تفضل اجلس يا عم عثمان وتبادلا الحديث في أمور تروق لكما خلا مرض السكري لأنه ليس هما يوجب الاهتمام به وإنما شيء هين لا نلقي عليه بالا، هكذا

أتمنى أن تتخذاه في غيابي عنكما حالا سلاما. **يذهب من الباب الثالث.**

أحمد: أظن أن في جلستنا هذه بعد انقطاعي عن الجلوس معك في الحديقة تسمع مني حديثا فيها يجلب اهتمامك به.

عثمان: أتمنى ألا يكون حديثك معي مطولا في مرض السكري فأجزم بأنك منشغل به ولم تتخذه شيئا هينا عليك مثلما أعلن ابنك علينا قبل انصرافه.

أحمد: ثق بأنني غير منشغل به على الإطلاق الآن بعد مرور أسبوع على ظهوره في ، وكثرة سؤالي عنه لكن الآن عزمت على أن أكف عن أسئلتي لزهير عنه لأصرفهم عن انشغال بالهم بي، وهذا يعد راحة لبالهم وبالي وتزداد راحة بالنا معا وقتما أعلن عليهم أنني قررت العدول عن قرار مغادرة بيت ابني زهير لأن سببه لم يعد مقنعا في نفسي، بعد مطالعتي لكتب كثيرة في الفقه والتاريخ والأدب والتأمل في محتواها بعمق فبصرتني بأن فتاوي الفقهاء تصدر عنهم تخمينا وليس يقينا فأكون ساذجا إذا التزمت بفتوة تحريم بيع الأعضاء.

عثمان: لا تلتزم بما التزمت به سابقا فحرمت مع الفقهاء بيع الأعضاء هل هذا ناتج؟ من مرضك ولك رأي فيه أو من غيره وضحه لي.

أحمد: اجلس يأتك التوضيح والبرهان عليه.

يجلس عثمان، ثم أحمد قلت لك إن فتاوي الفقهاء تصدر عنهم تخمينا وليس يقينا ولا يخلون من الاختلاف بينهم في الفتاوي وأحيانا تكون أساسية مثلا، يرى فقهاء أنه لا زكاة في حلي النساء وترى فئة أخرى أنه توجب فيها الزكاة ولكل فئة سند يتكئ عليه فاستخلصت أن سندهم واه أو تأويهلم لآية أو حديث ما هو إلا وهمي فظهر الخلاف بينهم، ولو كانوا يتكئون على معرفة يقينية لجاءت الفتوة واحدة بلا اختلاف بينهم في زكاة حلي النساء ومن خلال اختلافهم في فريضة الزكاة أدركت أن فتوة تحريم بيع الأعضاء أهون على نفسي بألا ألتزم بتصديق تحريمها، بالرغم من أن فئة منهم حرمت هبة الأعضاء وفئة ثانية أباحتها وحرمت بيعها ومن يدرينا بأنه لا تظهر فئة ثالثة تبيح بيع الأعضاء بسند من تأويل آية قرآنية أو حديث ، لا يهم السند وإنما إباحة بيعها وهذا محتمل ما دام الفقهاء لا يخلون من الاختلاف بينهم فيحدث الخلاف بينهم بفئة ثالثة في المستقبل وهو مؤكد لنا في كتب الفقه.

عثمان: لا أستطيع أن أناقشك في هذه الأمور العويصة لأنها

من غير اختصاصي.

أحمد: أعلم أنك كنت موظفا في البلدية قبل تقاعدك وليس في إمكانك الإدلاء برأي خارج عن مجال الإدارة.

عثمان: نعم في قوانين الإدارة أستطيع المناقشة فيها بالرغم من أن وظيفتي بسيطة لكن في الدين ليس لي علم به أعتد به خلا الفرائض والمعلومات المتواترة بين المتدينين.

أحمد: إني كنت أكاد أكون مثلك لولا حفظي كتاب الله عن ظهر قلب وشذرات لدروس الفقه لا تشفي غليل المستفتي في مسألة فقه عويصة، لكن بعد مطالعتي لكتب كثيرة في شتى المجالات لاسيما في التاريخ لشهر أو يزيد بصرتني بأن الفتوة تكون أحيانا سخيفة، ولأضرب لك مثلا لقد حرم اقتناء المذياع من فقهاء فيما مضى بحجة في أنه بدعة وكل بدعة كذا. كذا. كذا من الحديث سندهم ولم يتخذ إبداعا مفيدا للبشرية يقدم فيه دروس الوعظ والإرشاد في جميع المجالات.

عثمان: نعم كم من درس ديني سمعته منه ولم أدر بأنه حرم اقتناؤه إلا الآن منك ولم يحدث درس في المسجد في يوم جمعة يتطرق إلى تحريمه.

أحمد: قلت لك فيما مضى لكن بعد انتشاره وتقليل شأن الفتوة

في نفوس الناس أصبح الفقهاء جميعا لا يرون جناحا من اقتنائه ومن خلال هذه القضية في تحريم المذياع، تساءلت ألا تكون فتوة تحريم بيع الأعضاء مصيرها مثل تحريم المذياع لا جناح عليها عندما ينتشر بيعها بين الناس عندما يرون أنه الوسيلة الوحيدة في كثرة توفير الأعضاء تسع طالبها وتكون من الأموات ورب ثمن عضو ميت يكون فرجا لأرملة لم يترك لها زوجها المتوفي شيئا تقتات به مع أولادها بعد صرف آخر نقد على العلاج المنتهي بالوفاة. وقد يترك عليه دينا مطالبة بأدائه هي وأولادها ربما يتفلسف فقهاء قائلين هناك الأهل والأقارب والمحسنون.

عثمان: هذا لاشك فيه وستجد من يتصدق عليها ولو من زكاة غني.

أحمد: إني لا أنكر هذا لكن كيف نحرم عليها ثمن بيع عضو ميتها ولا ضرر من بيعه ورب ثمنه يكون من غني يغنيها عن الصدقة لمدة طويلة بل يكون إسقاطا عنها الزكاة بظرف غنائها، ألا ترى معي أن فتوة تحريم بيع الأعضاء سخيفة مثل تحريم اقتناء المذياع مآلها لا جناح على البيع سواء يكون سكوتا أو تفتي فئة ثالثة بإباحة البيع ولا يهم سندهم لي بأي صفة.

عثمان: لا أقضى بشيء قلت لك: آنفا إني أداري وأنت تعلم هذا.

أحمد: أجل عثمان إني استخلصت خلال تفكير عميق ومطالعتي لكتب كثيرة ومتنوعة أن الفقهاء كلهم أجمعين بالنظر إلى اختلافهم يصدرون فتاويهم وهم يشكون في صحة رأيهم عندهم وعند قبول رأيهم لدى الناس إلا السذج، اللهم إلا كانت الفتوة مسندة إلى آية صريحة مثل تحريم الميتة أو مسندة إلى حديث صحيح مثل لا زكاة في الخضر، بينما من تأويل الآية أو الحديث ليكونا في سياق الفتوة فهي ظن لا غيره وإنه لمن السفاهة أن يأخذ بها طبيب فيمتنع عن زرع عضو مباع، فيحرم بامتناعه مريضا لم يجد هبة عضو بظرف قلة هبة الأعضاء أولا وثانيا يعطل انتشار زرع الأعضاء على نطاق واسع.

فيكون قد عرقل سهولة ممارستها، ولا شيء يتكئ عليه إلا الفتوة المؤولة من القرآن أو السنة وقد قال: أبو حنيفة " **إذا صح الحديث فارم بفتوتي عرض الحائط**" وكان يقصد الحديث الصريح في المسألة المستفتي فيها من غير تأويل للحديث هذا من جهة، ومن جهة ثانية قال: **علي بن أبي طالب لمحدثه " القرآن حمال**

أوجه " ومن خلال هذه المناقشة بل التوضيح لك بما فندته في قلة شأن الإفتاء في نفسي تستنتج أن عدم إلتزامي بفتوة تحريم بيع الأعضاء بعدئذ لم يكن ناتجا من مرضي وإنما ناتج من المطالعة والتأمل العميق ولا أكون مخطئا إذا قلت لك ما الفقهاء كلهم أجمعون إلا مدرسو قرآن للصغار مثلي.

عثمان: من خلال هذا التوضيح الطويل استنتج أن عدولك عن مغادرة بيت ابنك قد أصبح في خبر كنت كذا كذا.

أحمد: أجل لأنه لا وزر على زارع الأعضاء المباعة إذن لا جناح علي أن آكل من دراهم زرعها إذا ما نقلها زهير ومن يدعي غير هذا فليأت لي بضرر واحد من بيعها يكون حجة في تحريمها، أما فائدة بيعها فهو معروف بالتوضيح الآنف الذكر وقد كاد الفقهاء يبيحون بيعها بوصيتهم في تقديم مكافأة للواهب، وهذا يعد موقفا صريحا في إباحة البيع ضمنية منهم، لم يتفوهوا به صراحة لكون البيع غير مألوف عندهم.

عثمان: لا أكون مخطئا إذا قلت لك من خلال التوضيح الوافي لي إنك تعود إلى الهبة لبناتك بعدما قطعتها عنهن لأسباب تعلمها وأعلمها منك.

أحمد: وستكون هبتي لهن منذ هذا الشهر المنتهي بعد أسبوع

وإلى آخر عمري ما دمت في كفالة ابني ونعم الابن.

عثمان: هذه بشرى حسنة لبناتك.

أحمد: بل للأهل أجمعين بما فيهم سميرة بالرغم من أنها لا تنال من هبتي فلسا واحدا لكنها تتخلص من ظن السوء فيها ومن بناتي، ونظرا للشك فيها من بناتي وقد يكون امتدى إلى غيرهن أزف لها وحدها قرار عدم مغادرة بيتها وإلى الأبد وأكلفها بإذاعة الخبر على الجميع لهم منها، فيكون اعتذارا لها مني نيابة عن بناتي وبكل تأكيد سأسأل عن صحة الخبر فأجيب الطيبات الظريفات لا يقلن إلا طيبا فطوبى لها مما أذاعته عليكم.

تظهر سميرة في باب المطبخ قادمة حاملة آنية عليها طقم القهوة والكعك ويقدومها يبدأ نزول الستار على الفصل الرابع.

- ستار -

الجزائر في 31 أوت 2015

كتبها : ك.ل. ابن آدم

مسرحيات صدرت

1. دار الشك : ط 2007
2. في هذه الدار: ط 2007
3. العكاز : ط 2008
4. الصماء : ط 2009
5. الوهم : ط 2011

الطبع في الجزائر

